الإنارة في الحج والعمرة والزيارة

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه

دار العقيدة

الإسكندرية : ١٠١ ش الفتح - باكوس ت : ٥٧٤٧٣٢١

القاهرة : ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ

رقم الإيداع: ٢٨٦٥ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى: 977-347-013-X

هاتف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠١٩٠٠٠٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد :

فإن أصـــدق الحديث كتاب الله وأحـسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور مـحدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

الحج : أحـد أركان الإسـلام الخـمـسة، وقـد دل الكتاب والسنة والإجماع على وجوبه:

قال سبحانـه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

[آل عمران: ٩٧].

وفى الصحيحـين عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال: « بُنِىَّ الإسـلام على خمس، شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقـام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام» [(١)] .

---

(١) رواه البخارى (٨) فى «الإيمان»، مسلم (١٦).

وروى سعيد فى سننه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جِدَةٌ (سعة من المال) ولم يحج ليضربوا عليهم الجزية، وما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين» .

وروى عن على رضي الله عنه أنه قال: «من قدر على الحج فتركه فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً» .

لقد كان المسلم فى حاجة بعد هذه الصلوات التى يصليها كل يوم، وبعد شهر رمضان، الذى يصومه كل عام وبعد الزكاة التى يقوم بها إذا تم النصاب وحال الحول، إلى أن يشهد موسماً هو ربيع الحب والحنان، وملتقى المحبين المخلصين، الذين أتوا من كل أوب سحيق وفج عميق استجابة لأمر ربهم سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج ٢٦-٢٩].

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك
إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك

خرجوا وهم يلبون بهذا النداء العلوى، الذى تجاوبت معه الأصداء :

أتوا شعثاً غُبراً متواضعين لرب العالمين لرب البيت، ومستكينين له، خضوعاً لجلاله، واستكانة لعزته، فالبيت قد أضافه سبحانه إلى نفسه تشريفاً وتعظيماً، وربما يشتاق الإنسان إلى ربه أشد شوق، فيحتاج إلى شئ يقضى به شوقه فلا يجده إلا فى الحج، وكان البيت العتيق وما حوله من شعائر الله، والحج وما فيه من مناسك، خير ما يحقق رغبته، ويسلى حنانه وعاطفته، فالمؤمن شديد الحب لربه يشتاق إلى لقائه فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، وشوقه هذا يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة، فضلاً عن الطلب لنيل ما وُعد

عليه من الثواب الجزيل، ولذلك ود المسلم لو بذل ما له وسار على رأسه فى سبيل بلوغ بيت الله الحرام فالحنين يعتمل فى نفسه **﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾**

[إبراهيم: ٣٧].

وقد اختار الله سبحانه وتعالى أموراً ظاهرة محسوسة، اختصت به، ونُسبت إليه، وتجلت عليها رحمته، وحفتها عنايته بحيث إذا رُؤيت ذُكر الله عز وجل، وارتبط بها وقائع وحوادث، وأفعال وأحوال تُذكر بأيام الله وآلائه، ودينه وتوحيده، وحُسن بلاء أنبيائه وسماها «شعائر الله» التى جعل تعظيمها تعظيمه، والتفريط فى حقها تفريطاً فى حقه، قال سبحانه وتعالى: **﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** [الحج: ٣٢].

وقال: سبحانه وتعالى: **﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾** [الحج: ٣٠].

لقد كان المسلم فى حاجة إلى غذاء للقلب، وإلى زاد للعاطفـة، وإلى أن يقضى شوقه ويروى غلتـه مرة بعد مرة، وعلى فترة بعد فترة، فهلَّم إلى حجة لا ريـاء فيها ولا سمـعـة، نلبى فـيهـا بلسان الحـال قـبـل المقـال أن لبيك بحجـة حقاً، تعبُداً ورِقاً اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً إنك ولى ذلك والقادر عليه وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبـــه

سعيد عبد العظيم

فضل الحج والعمرة

(١) عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل ؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا ؟ قال: ثم جهاد فى سبيل الله، قيل: ثم ماذا ؟ قال: ثم حج مبرور» .

والحج المبرور: هو الحج الذى لا يخالطه إثم، وقال الحسن: «أن يرجع زاهداً فى الدنيا، راغباً فى الآخرة، أو أن بره إطعام الطعام ولين الكلام».

(٢) وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «يارسول الله ترى الجهاد أفضل الأعمال، أفلا نجاهد؟ قال: لكنّ أفضل الجهاد: حج مبرور»(١).

وفى بعض الروايات: «لكنّ أحسن الجهاد وأجمله:

---

(١) رواه البخارى فى الحج (١٥٢٠).

الحج حج مبـرور» قالت عـائشة رضى الله عنهـا: «فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ»[١].

(٣) وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[٢].

أى رجع بلا ذنب، والرفث: أى الجماع، يفسق: أى يعصى.

(٤) وعن ابن عـباس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قـال: لامرأة من الأنصار يقال لها أم سنان: «ما منعك أن تكونى حججت معنا ؟ قالـت: ناضخان كانا لأبى فلان -زوجـها- حج هو وابنه على أحدهمـا، وكان الآخر يسقى عليـه غلامنا، قال: فعمرة فى رمضان تعدل حجة أو حجة معى»[٣].

وهذا فى الأجر لا أنها تُسقط فريضة الحج .

(٥) وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قـال: «جهاد الكبير والصغير والضعيف، والمرأة: الحج والعمرة»[٤].

---

(١) رواه البخارى فى الحج (١٨٦١).
(٢) رواه مسلم فى الحج (١٣٥٠).
(٣) رواه البخاري في الحج (١٧٨٢) ومسلم في الحج (١٢٥٦) .
(٤) رواه النسائى(٢٦٢٦)

(٦) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكيرُ خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»(١).

(٧) وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(٢).

(٨) وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحجاج والعُمّار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم»(٣).

(٩) عن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله بسبعمائة ضعف»(٤).

---

(١) رواه النسائى (٢٦٣١) والترمذى(٨١٠) وصححه.
(٢) رواه البخارى فى العمرة (١٧٧٣) ومسلم فى الحج (١٣٤٩).
(٣) رواه ابن ماجه (٢٨٩٢) . .
(٤) رواه أحمد بإسناد حسن(٢٢٤٩١) . .

معنى الحج والعمرة

الحج : فى اللغة بمعنى القصد إلى معظم .

وشرعاً : قصد البيت الحرام لأداء أفعال مخصوصة من الطواف والسعى والوقوف بعرفة وغيرها من الأعمال.

وكلمة الحج: تُقرأ بكسر الحاء وفتحها .

وقد حج نبى الله أدم عليه السلام ، وفى الحديث: «وكأنى بموسى بن عمـران هابطاً الثنية له جؤر إلى الله تعالى بالتلبية» .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم : «والذى نفـسى بـيـده ليُـهِلّن ابن مريم بفجِ الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليُثنيهما» .

وقـد حج النبى صلى الله عليه وسلم مـرة واحـدة فى العـام الذى تُوفىّ فيه، ولذلك سُميت حجة الوداع .

وأما العمرة : فمعناها فى اللغة: الزيارة .

وفي الشرع : زيارة الكعبة على وجه مخصوص مع الطواف والسعى والحلق أو التقصير .

وقد ثبت أن النبى ﷺ اعتمر أربع مرات، كلهن أداهن فى شهر ذى القعدة قال بذلك: عائشة وابن عباس وأنس ولم يثبت أنه اعتمر فى رجب أو شوال كما قال ابن القيم .

والعمر الأربع هى:

★ عمرة الحديبية فى السنة السادسة للهجرة .

★ عمرة القضاء فى السنة السابعة .

★ ثم اعتمر بعد فتح مكة وقسّم غنائم حنين فى السنة الثامنة .

★ والرابعة كانت فى السنة العاشرة مع حجة الوداع على الصحيح، وثبت ذلك عند مسلم وغيره .

فعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «ياأيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكُلّ عام يارسول الله ؟ فسكت

حـتى قـالهـا ثلاثاً، فـقال النـبى ﷺ : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم»[١].

وفى حـديث آخـر : «الحـج مـرة فـمن زاد فـهـو تطوع»[٢].

✪✪✪✪✪

(١) رواه مسلم (١٣٣٧).

(٢) أخـرجـه أحـمـد (٢٦٣٧) وأبو داود (١٩٤٩) وابن مـاجـه والدارمي(١٧٨٨) والحاكم وقال: صحيح على شرطيهما.

حكـــم الحـــج

قال تعـالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

[آل عمران: ٩٧].

فالحج ركن من أركان الإسـلام وواجب من واجبات الدين، ولو أنكر وجوبه مُنكِر كَـفَرَ وارتد عن الإسلام، وقد رجـح ابن القيم - رحـمه الله - أن افتـراض الحج كـان سنة تسع أو عـشـر على خـلاف مـا ذهب إليـه الجمهـور من أن إيجابه كان سنة ست بعـد الهجرة لأنه نزل فيها قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

[البقرة: ٩٦].

والحج فُرِض فى العمر مرة على كل مسلم ومسلمة، إذا استوفى شروط الوجوب .

حكـــم العمـــرة

اختلف العلماء فى وجوب العـمرة، وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيـمية(*) - رحمه الله - إلى أنهـا ليست واجبة، وهو مذهب أبى حنيفة ومالك قال: «وذلك لأن الله إنما أوجب الحج بقوله سبـحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، ولم يُوجب العـمـرة، وإنما أوجـب إتمامـها لمن شـرع فيـهمـا فقـال: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾، وفى الابتـداء إنمـا أوجب الحج ؛ وهكذا سـائـر الأحـاديث الصحيحة ليس فيها إلا إيجاب الحج» ا . هـ .

وقال أيضـاً رحمه الله: والأظهـر أن العمـرة ليست واجبة، وأن من حـج ولم يعتمر فلا شئ عـليه، سواء ترك العمرة عامداً أو ناسياً ا.هـ.

(*) راجع مجموع الفتاوى «٢٦/ ٥٤».

قال الشيخ ابن باز حفظه الله(*): وقد وردت أحاديث تدل على وجوب العمرة منها قوله ﷺ في جوابه لجبريل لما سأله عن الإسلام قال ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتحج البيت وتعتمر، وتغتسل من الجنابة وتتم الوضوء، وتصوم رمضان»(١).

ومنها حديث عائشة رضى الله عنها قالت: «يا رسول الله: هل على النساء من جهاد؟ قال: عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة»(٢).

ولا تجب العُمرة فى العمر إلا مرة على القول بوجوبها وهو مذهب الشافعى وأحمد.

(*) راجع رسالة «التحقيق والإيضاح» (س٧، ٨).

(١) أخرجه ابن خزيمة والدارقطنى من حديث: عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال الدارقطنى: هذا إسناد ثابت صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٧٩٤) وابن حبان وابن ماجه بإسناد صحيح.

تكرير العمرة فى السفرة الواحدة

لم يكن هدى سلفنا الصالح تكرير العمرة فى السفرة الواحدة، وهم أحرص الناس على الخير، فلو كان خيراً لسبقونا إليه .

ولا يصح الاستــدلال بفعل عــائشة ﵂ فقــد كانت حــائضاً فـقالت: «يارســول الله ﷺ أتنطلقــون بحج وعمرة، وأنطلق بحج ؟ فقال: إن لك ما لهم، قالت: إنى أجد فى نفسى أنى لم أطف بالبيت حتى حججت، قال: فاذهب بها يا عبد الرحمن «وهو أخوها» فأعمرها من التنعيم بعد الحج فاعتمرت ثم أقبلت» الحديث .

فمن تشابه حاله فليفعل وإلا:

فكل خير فى اتباع من سلف   وكل شر فى ابتداع من خلف

نعم من كان له والد متوفى مــثلاً فيصح له أن يخرج إلى الميقات أو الحِل ويُلبى بعــمرة عنه لحديث «حج عن أبيك واعتمر».

الإكثار من الحج والعمرة
أفضل من التصدق بنفقته على الفقراء

يُسن الإكثار من الحج والعمرة تطوعاً لما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(١).

وحديثه صلى الله عليه وسلم: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب» - الذى مر بك - وقول أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها -:

«فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت قد علمت أنه أحسن الجهاد وأجمله.

وقد سُئل ابن تيمية -رحمه الله-:

---

(١) رواه البخاري (١٧٧٣) في «العمرة» ومسلم (١٣٤٩) في كتاب «الحج».

مـاذا يقـول أهل العلـم فى رجل
آتاه ذو العـرش مـالاً حج واعتـمـر
فـهزه الشـوق نحـو المصطفى طربا
أترون الحج أفـضل أم إيثاره الفـقرا
أم حـجـه عن أبـيـه ذاك أفـضل أم
مــاذا الذي يـا ســادتـى ظهــرا
فـأفـتـوا مـحـبـاً لكـم فـديتكمـوا
وذكـركم دأبه إن غـاب أو حضـرا
فأجـاب:
نقــول فــيــه أن الحج أفــضل من
فـعل التـصـدق والإعطاء للفـقـرا
والحج عن والـديه فــيــه بـرهمــا
والأم أسـبـق في البـر الـذي ذُكـرا
لكن إذا الفرض خص الأب كان إذاً
هو المقــدم فــيـمــا يمنع الضــررا
كــمــا إذا كان مـحـتــاجـاً إلى صلة
وأمـه قـد كـفـاها من برئ البـشـرا
هذا جـــوابـك يا هـذا مـــوازنة
وليس مفـتيك مـعدوداً من الشـعرا

المبادرة إلى الحج عند الاستطاعة

قال أبو حنيفة ومالك -رحمهما الله- وبعض أصحاب الشافعى -رحمه الله-: أن الحج واجب على الفور بالنسبة للمستطيع، فإذا استطاع فأخره أثم بالتأخير، وهذا القول هو أحوط من أقوال العلماء وفيه إبراء للذمة، فقد يمرض الإنسان وتضل الراحلة وتعرضه للحاجة، وقد رُوى عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «تعجلوا إلى الحج - يعنى الفريضة - فإن أحدكم لا يدرى ما يَعْرض له»(١) وهذا هو ظاهر قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وقول النبى ﷺ فى خطبته: «أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٢٨٦٤).

(٢) رواه مسلم (١٣٣٧) في كتاب «الحج».

من الذى يجب عليه الحـج؟

اتفق العلماء على أنه يُشتـرط لوجوب الحج الشروط الآتية: الإسـلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة، فمن لم تتحقق فيـه هذه الشروط فلا يجب عليه الحج، وفى الحـديـث أن النبى ﷺ قـال: «رُفع القلم عن ثلاث: عن النائم حـتى يستـيـقظ، وعن الصبى حـتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل»[١].

وقد ذهب العلمـاء إلى أن من حج وهو كافـر فإن حجه لا يصح ولا يسـقط الحج عنه إذا أسلم، أما من حج ثم ارتد عن الإسلام وكـفر ثم عـاد إلى الإسلام فـإنه لا يجب عليه إعـادة الحج عند الشافـعيـة، لأن إحباط العمل لا يحدث للمرتد إلا إذا مات على ردته وكفره عندهم[٢].

---

(١) رواه الترمذي (١٤٢٣) من حديث علي والنسائي (٣٤٣٢) عن عائشة .
(٢) يجب عليه إعادة الحج عند الأحناف والمالكية.

وقال الترمذى: «أجمع أهل العلم على أن الصبى إذا حج قبل أن يُدرك فعليه الحج إذا أدرك، وكذلك المملوك إذا حج فى رِقه ثم أُعتق فعليه الحج إذا وجد إلى ذلك سبيلاً» اهـ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن امرأة رفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبياً فقالت: ألهذا حج ؟ قال: نعم ولك أجر»(١).

والصبى يتمم كل ما يستطيعه من أعمال الحج والعمرة فإن عجز قام الولى بتحجيجه كأن يُحرم عنه ويجرده من المخيط ويلبى عنه ويطوف به ويسعى ويقف به بعرفة ويرمى عنه الجمار، فعن جابر رضي الله عنه قال: «حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان، فلبينا عن الصبيان، ورمينا عنهم»(٢).

ولو بلغ الصبى وهم مُحرم ثم أَحرم يوم عرفة أو قبله فإن إحرامه صحيح وتقع حجته عن الحجة المفروضة عليه بالإجماع .

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٦) فى كتاب «الحج».

(٢) رواه أحمد في المسند (١٣٩٦١) وابن ماجه (٣٠٣٨) .

الاستطاعة المعتبرة شرعاً

دلت نصوص الكتاب والسُّنة على أن الحج والعمرة يشترط لوجوبها الاستطاعة، وهذه الاستطاعة: هى القدرة على تأدية النسك مع عدم المانع الشرعى، وتتحقق بما يلى :

(١) صحة البدن فإن عجز عن الحج لشيخوخة أو زمانة، أو مرض لا يُرجى شفاؤه أو عدم القدرة على ركوب الدابة، ويلزمه إحجاج غيره إن كان له مال .

(٢) أن يكون عنده من المال ما يكفيه ويكفى من يعولهم أثناء ذهابه وحجه وعودته، والمراد بالكفاية «الوسط» فلا ينظر إلى حالة الإسراف ولا يطالب بالتقتير والتضييق على نفسه وعلى من يعولهم .

(٣) أن يجد الوسيلة التى تحمله إلى مكان الحج، وقد فُسر السبيل فى قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ بالزاد والراحلة .

(٤) أن تكون الطريق آمنة، بحيث يأمن من الحاج على نفسه وماله، فلو خاف من قطاع الطريق أو سلطان جائر أو وباء فلا يلزمه، وقد اختلف العلماء فى المكوس والجبايات المحرمة التى تُوخذ من الحجيج، فذهب الشافعى وغيره إلى اعتباره عذراً مسقطاً للحج وإن قل المأخوذ وعند المالكية: لا يُعد عذراً إلا إذا أجحف بصاحبه أو تكرر أخذه.

(٥) ولا يجب عليه الحج إن كان مديناً لآدمى أو لله كأن كان عليه زكاة أو كفارة، إن كان ما يبقى بعد سداد الدين لا يكفى نفقاته وكان مطالباً بسداد الدين، ولو استدان وحج صحت حجته وكان على رجاء قضاء الدين بإذن الله .

(٦) إن احتاج إلى الزواج وخاف على نفسه الضرر أو الوقوع فى الفاحشة قدم التزوج على الحج، وإذا لم يخف شيئاً قدم الحج، وإن كان له دين يستطيع تحصيله، ويصير به مستطيعاً للحج وجب عليه وإلا فلا.[1] اهـ.

---

(١) ذكر معناه فى «المغنى».

(٧) عند الشافعية: أنه إذا بذل رجل لآخر راحلة من غير عوض «مقابل» لم يلزمه قبولها، لأن عليه فى قبول ذلك مِنّةٍ، وفى تحمل المِنّة مشقة.

وإذاً بذل له ولده مـا يتمكن به من الحج لزمـه لأنه أمكنه من غير مِنّة تلزمه.

(٨) قد تزعم عدم الإستطاعـة، ، الله يعلم منك غير ذلك فلا تبخل على نفسك[1]، فالخُلْف عظيم والثواب كبـير واسـتحـيى من الله أن تنفق الآلاف فى الأجـهزة المفسدة وغيرها، ثم تزعم عدم القدرة المالية على الحج.

✪✪✪✪✪

(١) سـئل شيخ الإسـلام عن امـرأة لديها ألف درهم وتريـد تزويج بنتهـا فقال: تحج بهـذا المال وهو ألف درهم وتزوج البنت بالباقى إن شاءت فإن الحج فريضة مـفروضة عليها، إذا كانت تستطيع إليـه سبيلاً، ومن لها هذا المال تستطيع السبيل.

حج المرأة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو مَحرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذو مَحرم، فقام رجل فقال: يارسول الله إن امرأتى خرجت حاجَّة، وإنى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا، فقال: انطلق فحج مع امرأتك»[(١)].

وقد ذهب الأحناف والحسن والنخعى وإسحاق وابن المنذر وأحمد إلى أن المرأة لو وجدت زوجها أو رجلاً مَحرَماً[(٢)] لها يحج معها وجب عليها الحج، وإلا فلا، ولو حجت صح حجها وأثمت، فاعتبروا المحرم من جملة شروط الاستطاعة بالنسبة للمرأة بالإضافة للزاد والراحلة؟.

---

(١) رواه البخارى (٣٠٠٦)، مسلم(١٣٤١) فى الحج.

(٢) المحرم: هو من حرم عليه نكاح المرأة على التأبيد بسبب مباح لحرمها وذلك مثل الأب والابن والأخ، فليس من المحرم زوج أخت الزوجة وعمتها وخالتها والملاعن لزوجته، ورأى الإمام أحمد أن الكافر ليس محرماً للمسلمة.

وفى رواية ثانية عن أحمد - رحمه الله -: أن المحرم ليس بشرط فى الحج الواجب، والمشهور عند الشافعية اشتراط الزوج أو المحرم أو النسوة الثقات وفى قول - نقله الكرابيسى وصححه فى المهذب - تُسافر وحدها إذا كان الطريق آمنا، وهذا كله فى الواجب من حج أو عمرة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: إن كانت من القواعد اللآتى لم يحضن، وقد يئست من النكاح، ولا محرم لها، فإنه يجوز فى أحد قولى العلماء أن تحج مع من تأمنه، وهو إحدى الروايتين عن أحمد ومذهب مالك والشافعى .

والمرأة ليس لها أن تنطلق فى حج التطوع إلا بإذن زوجها، أما حج الفريضة فليس لها منعها، كما لا يمنعها من الصلاة والصيام، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وتستأذنه فى حج الفريضة على سبيل الاستحباب، وتخرج أذنَ أو لم يأذن .

حج المرأة وهى فى العدة

لا يجوز للمرأة أن تخرج للحج إذا كانت فى عدة الوفاة عند الإمام أحمد، لأنها مأمورة بملازمة المسكن، أما فى العدة من طلاق رجعى فإنها فى حكم المتزوجة فتستأذن زوجها، وأما العدة من طلاق بائن «بعد الطلقة الثالثة» فإنها لا تُمنع من الحج .

وهذا رأى الإمام أحمد نقله عنه ابن قدامة فى «المغنى»: وذكر أن خالة جابر رضي الله عنه كانت تخرج لجذاذ نخلها بالنهار، وكانت نساء شهداء أُحد يمكثن عند إحداهن النهار ثم تأوى كل واحدة إلى بيتها بالليل فلو دعت الحاجة لخروجها بالنهار فلا حرج على أن تبيت ببيتها .

سفـر المـرأة لغيـر الحـج المفـروض كالزيـــارة والتجـــارة

قــال النووى - رحــمه الله - فى «المجـمـوع»: هل يجـوز للمـرأة أن تسافـر لحج التطوع أو لزيارة وتجـارة ونحوهما مع نسوة ثقات، أو امرأة ثقة ؟ .

فيه وجهان للأصحاب:

أحدهما: يجوز كالحج المفروض .

والثانى: وهو الصحيح باتفاقهم والمنصوص عليه فى الأم لا يجوز، لأنه سفر ليس بواجب اهـ. ملخصاً .

وأحاديث النهى عن سـفر المرأة بغير زوج أو مـحرم تدل على المنع ويُستثنى من ذلك سفـر الضرورة، كسفر أم كلثوم بنت عـقبة بن أبى معـيط - رضى الله عنها - حيث هاجرت من مكة إلى المدينة بمفردها، لأنها لم تجد من ترتحل معـه عندما أسلمت، ولم تأمن على نفســها فى إقامتها بمكة وسط الكفار .

تعاطى دواء لرفع الحيض في الحج والعمرة

يجوز للمرأة تعاطى دواء لرفع الحيض لتتمكن من الصيام والحج والعمرة، بشرط :

أن لا يستتبع ذلك مضرة بجسدها - نقله ابن قدامه فى «المغنى» عن الإمام أحمد - وهو قول لجنة الفتوى بالسعودية .

الحج عن الغير

الرجل إذا لم يستطع الركوب على الدابة فإنه يستنيب من يحج عنه كما قال ابن تيمية - رحمه الله - وذُكر أنه يجوز للمرأة أن تحج عن المرأة الأخرى سواء كانت ابنتها أو غير ابنتها، وكذلك يجوز أن تحج المرأة عن الرجل عند الأئمة الأربعة وجمهور العلماء، كما أمر النبى ﷺ المرأة الخثعمية أن تحج عن أبيها لما قالت: «يارسول الله إن فريضة الله فى الحج على عباده أدركت أبى وهو شيخ كبير فأمرها النبى ﷺ أن تحج عن أبيها» - مع أن إحرام الرجل أكمل من إحرامها[١] .

فمن استطاع السبيل إلى الحج ثم عجز عنه بمرض أو شيخوخة لزمه إحجاج غيره عنه، لأنه أيسر من الحج بنفسه لعجزه، فصار كالميت فينوب عنه غيره .

وقال مالك: إذا أوصى أن يحج عنه، حُجَّ عنه .

---

(١) رواه الترمذي (٩٢٨) والنسائي (٢٦٤٠) وأحمد (١٨١٠) والدارمي (١٨٣٦).

شرط الحج عن الغير وأخذ الأجرة على ذلك

يُشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد سبق له الحج عن نفسه، وهذا قول أكثر أهل العلم، لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: لبيك عن شُبرُمة. قال: من شبرمة ؟ قال أخ لي أو قريب لي، قال: حججت عن نفسك ؟ قال: لا، قال: حج عن نفسك ثم حج عن شُبرمة»(١)

قال البيهقى: هذا إسناد صحيح ليس فى الباب أصح منه.

وقد سُئل ابن تيمية -رحمه الله-: عن امرأة حجت وقصدت أن تحج عن ميتة بأجرة فهل لها أن تحج؟

---

(١) رواه أبو داود (١٨١١) وابن ماجه (٢٩٠٣).

فـأجاب: يجـوز أن تحج عن الميت بمال يُوخـذ على وجه النيـابة بالاتفاق، وإمـا على وجه الإيجـارة ففـيه قولان للعلماء هما روايتان عن أحمد :

إحداهما: يجوز وهو قول الشافعى .

والثانـى: لا يجوز وهو مذهب أبى حنيفة .

ثم هذه الحاجّة عن الميت إن كـان قصدها الحج أو نفع الميت كـان لها فى ذلك أجـر وثواب، وإن كان ليس مقصـودها إلا أخذ الأجرة فمـا لها فى الآخرة من خلاق.

✪✪✪✪✪

من مات وعليه حج

عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها ؟ قال: نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أُمك دين أكنتِ قاضيته ؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء»[١].

وفي الحديث دليل على وجوب الحج عن الميت سواء أوصى أم لم يُوص، لأن الدين يجب قضاؤه مطلقاً، وكذا سائر الحقوق المالية من كفارة أو زكاة أو نذر، وإلى هذا ذهب ابن عباس وزيد بن ثابت وأبو هريرة، والشافعي، ويجب إخراج الأجرة من رأس

---

(١) رواه البخارى (١٨٥٢) في جزاء الصيد.

المال عندهم، وظاهــره أنه يُقـدم على دين الآدمى إذا كــانت التركـة لا تتـسع الحج والدين لقـوله ﷺ : «فالله أحق بالوفاء» .

وبالتالى فمن مـات وعليه حجة الإســلام، أو حجة كان قــد نذرها وجب على وليه أن يُجــهز من يحج عنه من ماله، كـما أن عليـه قضاء ديونه، وقـد قيـد مالك الحج بما إذا أوصى ويكون الحج من ثلث التركة .

✪✪✪✪✪

حـج الماشى والراكب: أيهما أفضل ؟

روى البخـارى عن أنس رضي الله عنه: «أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى شيخاً يُهادى بين ابنيه فقال: ما بال هذا ؟ قالوا: نذر أن يمشــى، قال: إن الله عز وجل عن تـعذيب هذا نفـسه لغنى، وأمره أن يركب»[١].

وقـد حج النبى صلى الله عليه وسلم راكـباً ولهـذا ذهب جـمهـور العلماء إلى أن الأفضل الركوب ولكونه أعون على الدعاء والابتهال ولما فـيه من المنفعة، قـال آخرون: المشى أفضل لأن فيـه مشـقة، وبقدرها يكون الأجـر كمـا قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: «ولكنها على قدر نفقتك أو نصبك»[٢].

ورُوى عن ابن عـباس رضي الله عنه قوله: «مـا ندمت على شئ فاتنى فى شبابى إلا أنى لم أحج ماشياً» فيحتمل أن الأمر يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص .

---

(١) رواه البخارى(١٨٦٥) فى جزاء الصيد، ومسلم(١٦٤٢) فى النذور.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

التكسب والتجارة فى الحج

لا بأس للحاج أن يُتاجـر ويُؤاجر ويتكسب وهو يؤدى أعمـال الحج والعمرة، قال ابن عـباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن الناس فى أول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفة وسوق ذى المجاز ومواسم الحج، فخافوا البـيع وهم حُرُم فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾[البقرة: ١٩٨]»[١].

وعن أبى أمامة التيمـى: «أنه قال لابن عمر: إنى أكرى - أؤجر الـرواحل للركوب- فى هذا الوجـه وإن ناساً يقـولون لى: إنه ليس لك حج، فقال ابن عـمر: أليس تُحرمُ وتُلبى، وتطوف، وتُفيض من عرفـات، وترمى الجمار، قال: قلت: بلى، قال: فإن لك حجاً، جاء رجل إلى النبى ﷺ فسأله عن مثل ماسألتنى، فسكت عنه حتى نزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾: فأرسل إليه وقرأ عليه هذه الآية، وقال: لك حج»[٢].

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى.

(٢) رواه أبو داود (١٧٣٣) وسعيد بن منصور في سننه.

بعض آداب السفر

أولاً: الاستخارة إذا هم بالسفر:

وذلك قول النبى ﷺ :

« إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر -قال: ويُسمى حاجته- خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاقدره لى ويسره لى وبارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر - قال: ويُسمى حاجته- شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله، فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به»[(١)] .

---

(١) رواه البخارى (١١٦٢) في «التهجد»، (٧٣٩٠) في «التوحيد».

وإذا لم تستطع الصلاة وضاق وقتك فقل: «رب خِر لى واختر لى».

فما خاب من استخار الخالق واستشار المخلوق.

والاستخارة لا تكون فى فعل واجب أو ترك حرام، والاستخارة هنا ليست لأداء حج الفريضة بذاته، ولكن بخصوص السفر من الأمن وسلامة الطريق وما شابه ذلك.

ثانياً: كتابة الوصية:

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «ما حق امرئ مسلم له شئ يُوصى فيه يبيت ليلة أو ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده»[1].

يقول ابن عمر رضي الله عنهما «مابت ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك - إلا وصيتى مكتوبة عند رأسى».

فمن أراد السفر يتأكد فى حقه أن يكتب وصيته، لأن السفر مظنة الهلاك والموت، ويثبت ما له وما عليه من الدين ويشهد على ذلك.

---

(١) رواه البخارى (٢٧٣٨) فى «الوصايا» ومسلم (١٦٢٧) فى«الوصية».

ثالثاً: استحباب الخروج للسفر يوم الخميس أول النهار

لما ثبت من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «لقلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس»[(١)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم بارك لأمتى فى بكورها»[(٢)] وهذا إن تيسر للإنسان وإلا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

رابعاً: أن يودع أهله وإخوانه وأقاربه

فقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ودع أحداً قال: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»[(٣)].

ولو طلب المسافر من أهله الخير أن يوصوه قبل سفره فحسن، لما رواه الترمذى[(٤)] والحاكم بسند حسن: «أن

---

(١) رواه البخارى (٢٩٤٩) فى «الجهاد».
(٢) رواه أبو داود (٢٦٠٦) والترمذى(١٢١٢).
(٣) رواه أحمد (٤٥١٠)، والترمذى(٣٤٤٣) وقال حسن صحيح.
(٤) رواه الترمذي (٣٤٤٤).

رجــلاً جاء إلى النبى ﷺ فـقال: يارســول الله: إنى أريد ســفراً فزودنـى فقــال: زودك الله التقــوى، قال: زدنى، قال: وغفر ذنبك، قال: زدنى، قال: ويسر لك الخير حيثما كنت»[(١)]. وقال له رجل: إنى أريد سفراً، فقال: أوصيك بتقوى الله والتكبير على كل شرف» فلما ولى، قال: «اللهم ازو له الأرض، وهون عليه السفر».

قوله: على كل شرف: يعنى المكان العالى.

خامساً: المحافظة على أدعية السفر

إذا ركب الطائرة أو السيارة أو السفينة أو غير ذلك مما يُركب، فقد ثبت عن النبى ﷺ: «أنه كان إذا استوى على بعـيره خـارجاً إلى سـفر، كـبر ثلاثاً، ثم قـال: سبحـان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مُـقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبـون، اللهم إنـا نسألك فى سـفـرنا هذا البـر والتـقـوى، ومن العمـل ما ترضى، اللــهم هون علينا

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٧٧١)، والحاكم وسنده حسن.

سفرنا هذا واطو عنا بُعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى المال والأهل»[١].

مقرنين: أى مطيقين، الوعثاء: يعنى الشدة، الكآبة: هى تغير النفس من حزن ونحوه،

المنقلب: يعنى المرجع.

وقد ورد أيضاً أن النبى ﷺ: «كان إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم وسوء المنظر فى الأهل والمال»[٢].

ومعنى الحور بعد الكور: أى الرجوع من الإيمان إلى الكفر أو من الطاعة إلى المعصية، ولا يُشرع الدعاء جامعة إلا إذا كان للتعليم.

---

(١) رواه مسلم(١٣٤٢) فى «الحج».
(٢) رواه مسلم (١٣٤٣) والنسائي (٥٤٩٩).

سادساً: التكبير إذا صعد المسافر مرتفعاً والتسبيح إذا هبط وادياً أو منخفضاً:

لما ثبت فى البـخارى عن جـابر رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: «كنا إذا صعدنا كبرنا وإذا نزلنا سبحنا»(١).

وعن أبى مـوسـى الأشـعـرى رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قـال: كنا مع النبى ﷺ فى سـفـر، فكنا إذا أشرفـنا على واد هللنا وكبـرنا وارتفعت أصواتنا فقـال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس أربعـوا على أنفسكم فـإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنه معكم، إنه سميع قريب»(٢).

أربعوا يعنى: أرفقوا بأنفسكم.

سابعاً: الرفقة الصالحة:

لقـولـه ﷺ: «إن الراكب شـيطان، والراكـبـان شيطانان، والثلاثة رَكب»(٣).

---

(١) رواه البخارى (٢٩٩٣) فى الجهاد.
(٢) متفق عليه.
(٣) أخرجه مالك (١٨٣١) في الموطأ، وأحمد (٦٩٦٨) وأبو داود (٢٦٠٧).

والرفقاء إن لم يكونوا صالحين فقد يفسدوا على الإنسان حجه وعمرته، ولذلك قالوا: الرفيق قبل الطريق، والسفر كثيراً ما يُسفر عن أخلاق المرء .

والمرء على دين خليله، ومثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، وشرف الزمان والمكان لا يحتمل سوء الأخلاق وصحبة الأشرار .

ثامناً : المحافظة على الأذكار وتلاوة القرآن والاستغفار والدعاء :

وبخاصة أذكار الشروق والغروب والنوم وسائر الأذكار الموظفة ودخول المسجد والخلاء والخروج منه . . وإذا نزل منزلاً أثناء السفر فليقل: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فإنه لا يضره شئ حتى يرتحل منه»[١] .

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٨) .

وكـان ﷺ إذا سافـر أو غزا فـأدركه الليل قـال: «ياأرض ربى وربك الله، أعـوذ بالله من شرك وشـر ما فيك، وشـر ما خلق فيك، وشر مـا دب عليك، أعوذ بالله من شر كل أسـد وأسود وحية وعقـرب، ومن شر ساكن البلد، ومن شر والد وما ولد»(١).

وإذا بدا له الفجـر وهو فى السفر أن يقـول: «سمع سـامع بحـمد الله وحـسن بلائه علينا، ربنا صـاحـبنا وأفضل علينا عائذاً بالله من النار»(٢).

✪✪✪✪✪

(١) أخرجـه أحمد (٦١٢٦) وأبو داود (٢٦٠٣) وصـححه الحـاكم وحسنه الحافظ ابن حجر.
(٢) رواه مسلم (٢٧١٨) فى «الذكر والدعاء والتوبة».

المبادرة إلى التوبة النصوح

قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨].

أى تنصحون بها أنفسكم، وقيل: تندمون بها على ما مضى وتعزمون على عدم العودة فيه مرة ثانية، أو تستغفرون باللسان وتندمون بالقلب وتقلعون بالجوارح.

وينبغى تعميم جميع الذنوب والمعاصى بهذه التوبة، وإن كان عنده للناس مظالم من نفس أو مال أو عرض ردها إليهم، أو تحللهم منها قبل سفره، لما صح عنه ﷺ أنه قال: «من كان عنده مظلمة لأخيه من مال أو عرض فليتحلل اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[1].

---

(١) رواه البخارى(٢٤٤٩) فى «المظالم»، (٦٥٣٤) في «الرقاق».

وجوب النفقة الطيبة

ينبغى أن ينتــخب لحجه وعمــرته نفقة طيبــة من مال حــلال، لما صح عنــه ﷺ أنه قــال: «إن الله تعــالى طيب لا يقبل إلا طيباً»[(١)] .

وروى الطبرانى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا خرج الرجل حاجاً بنفــقة طيبة ووضع رجله فى الغَــرْز «رِكاب من جلد» فنادى: لبــيك اللهم لبــيك، ناداه منادٍ من الســماء: لبــيك وسعــديك زادك حلال وراحلتك حــلال، وحجك مــبرور غيــر مأزور، وإذا خرج الرجل حاجاً بالنفقــة الخبيثة ووضع رجله فى الغَرْز فنادى: لبيك اللهم لبيك ناداه منادٍ من السماء: لا لبيك ولا ســعديك زادك حرام وراحلتك حرام ونفــقتك حرام، وحجك غير مبرور» .

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥) فى «الزكاة».

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الرجل لو حج بنفقة حرام صحت حجته مع الإثم.

وينبغى للحاج الاستغناء عما فى أيدى الناس والتعفف عن سؤالهم لقوله ﷺ : «ومن يستعفف يُعِفُّه الله، ومن يستغنى يُغْنه الله»[1]، وقوله ﷺ : «لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزْعةُ لحم»[2].

وقد كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن متوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس فنزل قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

✪✪✪✪✪

(١) رواه البخارى (١٤٦٩) فى «الرقاق».

(٢) رواه البخارى(١٤٧٤) فى «الزكاة»، ومسلم (١٠٤٠) فى «الزكاة».

إخلاص العمل لله تعالى

يجب على الحاج أن يقصد بحجه وعمرته وجه الله والدار الآخرة، والتقرب إلى الله بما يرضيه والأعمال فى تلك المواضع الشريفة، ويحذر كل الحذر من أن يقصد بحجه الدنيا وحطامها، أو الرياء والسمعة والمفاخرة بذلك، فإن ذلك من أقبح المقاصد و سبب لحبوط العمل وعدم قبوله، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩].

وصح عنه ﷺ أنه قال: قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه»[١].

فلا يكن نصيبك من العمل أن يُقال لك: ياحاج فلان، وجاهد نفسك فى إخلاص الأمر كله لله عز وجل.

وكان الفُضيل - رحمه الله - يقول: «ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يُعافيك الله منهما».

فالفعل والترك ينبغى أن يكون لله عز وجل.

✪✪✪✪✪

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥) وابن ماجه (٤٢٠٢).

تعلم مناسك الحج والعمرة

ينبـغى للحـاج أن يتـعلم مـا يشـرع له فى حـجـه وعمرته، ويتفقه فى ذلك ويسأل عما أُشكل عليه ليكون على بصيـرة فهى حجة وقد لا تكرر، فـلا تمنى نفسك بالاسـتـدراك، ولا يسـتـوى الذين يعلمـون والذين لا يعلمون، ولا بد من إخلاص ومتـابعة فى الحج وغيره، وهذا يقتضى منك أن تكون على بصـيرة بالمناسك حتى تؤدى الواجب والمسـتـحب وتترك المـكروه والحرام مـا وسعك الأمـر، وقديمـاً قالوا: ما عُـصى الله بمعصـية أعظم من الجهل بالدين .

فلا تكفى الحماسـات ولا النوايا الطيبة بل لا بد من استقامة، والاستقامة هى أعظم كرامة .

الحذر من المعاصى والتفريط فى الواجبات

يجب على الرجل المحافظة على الصلوات فى الجماعة، وأن تؤدى فى المسجد لأول وقتها، إذا كان مقيماً، أما المسافر فيشرع له قصر الرباعية، والجمع بين الصلاتين - كالظهر مع العصر، المغرب مع العشاء - إنما يكون للعذر والحاجة، كما يجب على الإنسان أن يحفظ لسانه من كثرة القيل والقال، والخوض فيما لا يعنيه، ويصون لسانه أيضاً من الكذب، والغيبة والنميمة والسخرية بأصحابه وغيرهم من إخوانه المسلمين، ويصون لسانه من إخوانه المسلمين، وينبغى له بذل البر فى أصحابه وكف أذاه عنهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة على حسب الطاقة والحذر كل الحذر من حلق اللحية وشرب الدخان والتبرج ومخاصمة الرفقاء ومشاحنتهم .

فضل مكة وذكر بعض خصائصها (١)

مكة المكرمـة هى أم القرى ومهـبط الوحـى، فيـها بيت الله الحرام، الذى جعله سبحانه مثابة للناس وأمناً، وهذا البلـد الأمـين له ميـزته وفـضله وحرمـته، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦].

وفى الحديث: «إن مـكة حرمهـا الله ولم يحرمـها الناس ولا يحل لامـرئٍ يـؤمن بالله واليـوم الآخـر أن يسفك بها دماً ولا يعضـد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقـتال، فـقـولوا له: إن الله أذن لرسـوله ﷺ ولم يأذن لك، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار، وقد عادت

---

(١) المناهج للمعتمر والحاج باختصار وتصرف.

حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب»[١].

وثبت عن النبى ﷺ أنه قال : «هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها، ولا يختلى خلاه ؛ قال العباس : يارسول الله : إلا الأذخر، فقال رسول الله ﷺ : إلا الإذخر»[٢].

وإذا كان النبى ﷺ قد حرم صيد مكة، إلا أنه رخص بقتل الفواسق من الدواب فى الحرم ففى الحديث :

«خمس فواسق يُقتلن فى الحل والحرم، الغراب، والحدأة، والكلب العقور، والعقرب، والفأرة»[٣].

---

(١) رواه البخارى (٤٢٩٥) (١٠٤) (١٨٣٢) و مسلم(١٣٥٤) فى «الحج».
(٢) رواه البخارى (٣١٨٩) فى «الجزية» و مسلم(١٣٥٣) فى «الحج».
(٣) رواه البخارى (٣٣١٤) فى «الخلق» ومسلم (١١٩٨) فى «الحج».

والكلب العقور يشمل الأسـد والنمر والفهد والذئب وكل ما عقر الناس، وهذا قول جمهور أهل العلم .

وفى رواية مسلم - رحـمه الله - ذكر فـيها «الحـية» وقيد الغراب بـ «الأبقع» .

كما ثبت عن النبى ﷺ «أنه أمر بقتل الأوزاغ»(١) .

وسماه بالفويسق، وهو الذى يُطلق عليه اسم: البرص.

وقد ورد فى فضل مكـة قول النبى ﷺ : «صلاة فى مسجـدى هذا أفضل من ألف صلاة فيـما سواه إلا مسجد الكعبة»(٢) .

وفى حديث آخر : «صلاة فى مـسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحـرام أفضل من صلاة فى مسـجدى هذا بمائة صلاة»(٣) .

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم، واللفظ لأحمد (١٤٨٤٧) .
(٣) رواه أحمد (١٤٨٤٧) وابن حبان بإسناد صحيح.

فالصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والأشبه بالصحة أن هذه المضاعفة فى كل حرم مكة، ولكن الصلاة فى نفس المسجد أفضل، وذلك لكثرة الجماعة ولاتفاق أهل العلم على المضاعفة فى نفس المسجد الحرام لا شك فيها، والله أعلم .

ولا يجوز استقبال أو استدبار القبلة عند قضاء الحاجة لقول النبى ﷺ : «لا تستقبلوا القبلة بغائط أو بول ولكن شرقوا أو غربوا»(١) وفي رواية: «ولا تستدبروها».

ومكة هى أم القرى، فالقرى كلها تبع لها، وفرع عليها، قال تعالى: ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وهى قبلة أهل الأرض كلهم وأفضل بقاع الأرض على الإطلاق كما قرر ذلك جمهور أهل العلم ولذلك قال النبى ﷺ : «والله إنك لخير أرض

---

(١) رواه البخارى (٣٩٤) فى الصلاة.

الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أُخـرجت منك ما خرجت»[١].

ومن عظيم حرمة البلد الأمين أن مـجرد الهم بالسيئة فيـها يُعـاقب عليه العـبد قـال تعالى : ﴿ومَن يرِدْ فيهِ بِإلْحَـادٍ بِظُلْمٍ نُّذقْهُ مِنْ عَـذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، ويدخل فى الإلحـاد المذكـور الشـرك والـكفـر وفـعل شئ من المحـرمـات أو ترك شئ مما أوجـبـه الله عـز وجـل، أو انتهـاك حرمـات الحرم، حتى قـال بعض أهل العلم : يدخل فـى ذلك احتكـار الطعام بمكة .

وكان بعض السلف له خيمـتان واحدة بالحل وأخرى بالحرم، فإذا أراد أن يصلى دخل خيمة الحرم ، وإذا أراد الكلام مع أهله دخل خيمة الحل .

فالواجب على الخلق أن ينتهـوا عن كل ما حرمه الله عز وجل، ويتأكد ذلك فى الحرم فـلا يجوز بيع الفيديو والدخـان ومشاهـدة الأفلام والاستـماع للأغـانى . . .

---

(١) رواه أحمد والترمذى وهو حديث صحيح.

ويجب التعاون لإزالة المنكرات كافة ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[الحج: ٣٢].

وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: لو هم إنسان بمعصية بالحرم لأذاقه الله العذاب الأليم ولو كان بعدنٍ أبين.

وفى الحديث: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، ومن المعلوم أن أهل الجاهلية كانوا يُراعون حرمة البيت، فالمسلمون أولى وأحق منهم بذلك[1].

وقد أمر سبحانه وتعالى بتطهير البيت الحرام فقال: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[الحج: ٢٦].

والتطهير لا يقتصر على القاذورات بل يتعداها إلى المعاصى والمنكرات فهى من جملة الأنجاس والأدران، واعلم أن تحية البيت الطواف بالكعبة، ويكفى فى معرفة فضل مكة، أن الله عز وجل أقسم بها فى كتابه فقال: ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾[التين: ٣]، وقال: ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾[البلد: ١].

---

(١) رواه مسلم (١٣٥٠) فى «الحج».

قصة بناء البيت ومشاهدة التسليم

الارتحال إلى بيت الله الحرام، نقلة إلى بقعة تروى ذراتها ناريخاً طويلاً من معانى الإيمان واليقين والتسليم بحكم الله والجهاد فى سبيله سبحانه وتعالى، ومن هذه المشاهد قصة بناء الكعبة، فقد جاء إبراهيم بهاجر -عليهما السلام- وبولده إسماعيل عليه السلام، وتركهما عند البيت العتيق، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء ولا أنيس، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل راجعاً إلى فلسطين فتبعته هاجر وقالت:

«يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى، وهو لا يلتفت إليها، فقالت له: الله الذى أمرك بهذا ؟ قال: نعم، قالت : إذاً لا يضيعنا الله» .

وانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم رفع يديه ودعا ربه

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[إبراهيم: ٣٧].

ونفد ما فى السقاء وعطشت هاجر واسماعيل- عليهما السلام- وخافت الهلاك على إسماعيل عليه السلام، فقامت على الصفا ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً، ثم هرولت إلى المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فإذا هى بالمَلك عند موضع زمزم فبحث بعقبة حتى ظهر الماء ،فجعلت تحوضه بيدها فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها المَلك: «لا تخافوا الضيعة، فإن هذا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه»(١).

وتحوم الطير حول الماء، وتأتى قبيلة «جُرهم» تستأذن

(١) رواه البخارى (٣٣٦٤) فى «أحاديث الأنبياء».

هاجر فى الإقـامة، فأذنت لهم، ثم يتـوافد الناس على بيت الله الحـرام، يعتـمل الحنين فى نفوسـهم مصـداق دعوة إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وهذا من عجائب التدبير، فإن الله عز وجل لا يضيع أهله كـما قـالت هاجر - عليـها السـلام - وهى المرأة الضعيـفة، الشفوقـة على رضيعهـا ولكنه الإيمان الذى يصنع الأعاجـيب، تبادل إبراهيم عليه السلام تسليمـاً بتسليم، فهل يخيبون أو يضيعون ؟!! كلا والله .

وتمر الأيام ويُؤمـــر إبراهيم عليه السلام أن يرفع قـــواعـد البيت، فـقام ببناء البـيت العتـيق هو وابنه إسمـاعيل، وهما يـقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

[البقرة: ١٢٧-١٢٨].

وظل بيت الله العتيق شامخاً على مر الزمن، لا يقصده جبار بسوء إلا قصمه الله عز وجل وأذله، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ١-٥].

آيات بيان مرئية ومقرؤة، كلها ناطقة بعظيم قدرة الله فى خلقه، وداعية للإيمان به سبحانه وإخلاص العبودية له عز وجل وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد .

✪✪✪✪✪

الميقــات المكــانى

المواقيت :

هى الأماكن التى يُحرِم منها من يريد الحج أو العمرة ولا يجوز لحاج أو معتــمر أن يتجاوزها دون أن يُحرم ؛ وهذه المواقيت هى :

(١) ذو الحليفة :

وهو مــيقــات أهل المدينة ومن أتــى على طريقــهم ويُسمى الآن «أبيار على» وهو أبعد المواقيت عن مكة .

(٢) الجحفــة :

وهى مــيقــات أهل مصــر وأهل الشام، وهى «قــرية خــراب» «تلى» «رابغ» مما يلــى «مكة »، والناس اليــوم يُحرمون من «رابغ» ويُحــرم منها بلدان أفريقيا الشــمالية والغربية وأهل لبنان وسوريا والأردن وفلسطين .

(٣) قرن المنازل :

وهى ميقات أهل نجد ويُسمى اليوم «السيل الكبير» كما أنه ميقات أهل « الخليج العربى» .

وقرن المنازل يشمل السيل الكبير ويشمل وادى محرم الذى فى طريق الهدى بالطائف أيضاً .

(٤) يلملم :

وهو ميقات أهل اليمن .

(٥) ذات عرق :

وهو ميقات أهل العراق .

وجميع هذه المواقيت وَقّتها الرسول ﷺ وقال: «هن لهنَّ ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة» .

فلا يجب الإحرام من جاوز الميقات ناوياً العمل أو الزيارة.

ومن كان أقرب إلى مكة من هذه المواقيت فإنه ميقاته مكانه الذى هو فيه فيحرم منه، وأهل مكة يحرمون من مكة بالحج وأما العمرة فـإنهم يُحرمون من أدنى الحل، كـما هـو رأى جمـهـور أهل العلم لأمـر النبى ﷺ عائشة رضى الله عنها أن تُحرم لعمرتها من التنعيم.

ومن كان فى «طائرة أو سفيـنة» فإنه يُحرم إذا حاذى الميقـات، فيـتأهب ويلبس ثياب الإحـرام قبل مـحازاة الميقات، فإذا حـاذاه أحرم بما يريد من نسك أو قبله إذا خاف فواته.

ولا يجوز تأخير الإحرام إلى أن يتجاوز الميقات .

✪✪✪✪✪

الميقات الزمانى

وهو أشهر الحج المذكور فى قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وهذه الأشهر هى : شوال و ذو القعدة والعشر الأول من ذى الحجة، كما هو قول جمهور العلماء.

وهذا هو الوقت الذى عينه تعالى للإحرام بالحج فيه، ولذا أجمع العلماء على كراهة الإحرام بالحج قبل أشهره، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من السنة ألا يُحرم بالحج إلا فى أشهره»(١).

٭٭٭٭٭

---

(١) رواه البخارى فى «الحج».

ما يفعله الحاج عند وصوله إلى الميقات

فإذا وصل الحـاج إلى الميقات، اسـتحب له أن يغـتسل ويتطّيب، لما روىَّ أن النبى ﷺ : تجـرد من المخـيط عند الإحرام واغتسل، ولما ثبت فى الصحـيحين عن عائشة رضي الله عنها قـالت : «كنت أُطيّب رسول الله ﷺ لإحـرامه قـبل أن يُحرم، ولحله قبل أن يطوف البيت»(١) .

وأمر عائشة رضي الله عنها لما حاضت وقد أحرمت بالعمرة أن تغتسل وتحرم بالحج .

وأمر ﷺ أسمـاء بنت عُميس رضي الله عنها لما ولدت بذى الحليفة أن تغتسل وتستثفر بثوب وتُحرم .

فـدلَّ ذلك على أن المرأة إذا وصـلت الميـقـات وهى حائض أو نفسـاء تغتسل وتُحرم مع النـاس، وتفعل ما يفعله الحـاج غير الطواف بالبيت كمـا أمر النبى ﷺ

---

(١) رواه البخارى (١٥٣٩) فى «الحج» ومسلم (١١٨٩) فى «الحج» .

عائشة وأسماء رضي الله عنهما بذلك، وإذا تطيب الإنسان لإحرامه فليكن ذلك فى بدنه لا فى ملابس إحرامه .

ويُستحب لمن أراد الإحرام أن يتعاهد شاربه وأظفاره وعانته وإبطيه، فيأخذ ما تدعو الحاجة إلى أخذه لئلا يحتاج إلى أخذ ذلك بعد الإحرام، وهو مُحَرَّمٌ عليه، وفى الحديث : «الفطرة خمسٌ: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وقلم الأظفار ونتف الآباط»(١) .

وفى صحيح «مسلم» عن أنس رضي الله عنه قال : «وُقّت لنا فى قص الشارب وقلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة ألا نترك ذلك أكثر من أربعين ليلة»(٢) .

وأخرجه النسائى بلفظ :«وقّت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم »(٣) .

وأما الرأس فلا يشرع أخذ شئ منه عند الإحرام، لا فى حق الرجال ولا فى حق النساء، وأما اللحية فلم

---

(١) رواه البخارى (٥٨٩١) فى «اللباس» ومسلم (٢٥٧) فى «الطهارة».
(٢) رواه مسلم (٢٥٨) فى «الطهارة».
(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٠٠) والترمذى (٢٧٥٩) و النسائى(١٤)واللفظ له.

يثبت أن النبى ﷺ أخـذ من طول لحيته أو عـرضها، إلا ما رواه «البـخارى -رحمه الله-» عن ابن عـمر رضي الله عنهما أنه كان إذا اعتمر أخذ ما زاد عن القبضة .

وفى الحـديث : «خالفـوا المشـركين، وفّـروا اللحى واحفوا الشوارب» أخرجاه فى الصحيحين[1] .

وقد عظمت المصيبة فى هذا العصـر بمخالفة كثير من الناس هذه السُّنة، ومحـاربتهم للحى ورضاهم بمشـابهة الكفار والنساء.

ويرتدى المُحـــرم إزاراً ورداءً ويُســـتحـب أن يكونا أبيضـين نظيفين، ويُسـتحب أن يُحرم فــى نعلين لقول النبـى ﷺ : «وليــحــــرم أحـــدكــم فى إزار ورداء ونعلين»[2] .

٭٭٭٭٭

(١) رواه البخارى(٥٨٩٢) فى «اللباس» ومسلم (٢٥٩) فى «الطهارة».
(٢) رواه أحمد (٤٨٨١).

يجوز للمرأة أن تحرم بما شاءت من الثياب

وأما المرأة فيجوز لها أن تُحرم فيما شاءت من أسود أو أخضر أو غيرهما مع الحذر من التبرج[١]، والتشبه بالرجال فى لباسهم، وأما تخصيص البعض إحرام المرأة فى الأبيض أو الأسود . . . دون غيرها فلا أصل له .

ثم بعد الفراغ من الغسل والتنظيف وغسل ثياب الإحرام ينوى بقلبه الدخول فى النسك الذى يريده من حج أو عمره[٢]، لقول النبى ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[٣] .

---

(١) لا تكشف المرأة رجلها أو شعرها أمام الرجال الأجانب من أجل الوضوء، ويصح لها المسح على خمارها وجوربها، فقد مسح النبى ﷺ على عمامته وثبت عنه جواز المسح على الجوارب والنعل.

(٢) صلى رسول الله ﷺ فى المسجد ولم يبدأ بالتلبية، وقد قال الحسن البصرى -رحمه الله- كما ذكره الإمام النووى فى شرح «صحيح مسلم».

(٣) رواه البخارى (١) فى «بدء الوحى».

ويُشـرع له التلفـظ بما نوى فـإن كـانت نيتـه العمـرة قال: لبيك عمرة، أو اللهم لبيك عمرة، وإن كانت نيته الحج قـال : لبيك حـجاً، أو اللهم لبـيك حجـاً، لأن النبى ﷺ فعل ذلك.

والأفـضل أن يكون التلفظ بذلك بـعد اسـتـوائه على مـركوبه من دابة أو سـيارة أو غـيرهمـا، لأن النبى ﷺ إنما أهل بعـدمـا اسـتوى على راحلتـه وانبعـثت به من الميقات للسـير، هذا هو الأصح من أقوال أهل العلم[1].

ولا يُشرع له الـتلفظ بما نوى إلا فى الإحرام خـاصة لوروده عن النبى ﷺ.

---

(١) إن هاتين الركعتـين كانتا صلاة الصبح وبالتـالى فليس للمحرم أن يصلى ركعتين سنة الإحرام اهـ.

ومن الأخطاء الشائعة: الصلاة فى المواقيت بعـد العصر أو بعد الفجر لأنه وقت نهى وليست سنة الاحرام من ذوات الأسبـاب، أما من أدرك فريضة فى الميقات فليصليها ولو وقت الكراهة.

وأما الصلاة والطواف وغيرهما فينبغى له ألا يتلفظ فى شئ منها بالنية لأن التلفظ بذلك من البدع المحدثة والجهر بذلك أقبح وأشد إثماً، وقد قال النبى ﷺ : «وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»(١)

وإن كان يحج أو يعتمر عن الغير يقول : «لبيك اللهم عن فلان ويسميه» لحديث شُبرمة .

✪✪✪✪✪

(١) رواه مسلم (٨٥٧) فى «الجمعة».

الاشتـراط فى الحـج والعمـرة

إن خاف المحـرم أن لا يتـمكن من أداء نسكه لكونه مريضـاً أو خائفاً من عـدو ونحوه استـحب له أن يقول عند إحرامه:

«فإن حبسنى حابس فمحلى حيث حبستنى»؛ لحديث ضباعة بنت الزبير رضي الله عنها: «أنها قالت: يارسول الله إنى أريد الحج وأنا شـاكيـة، فقـال لها النبى ﷺ حُـجِّى واشترطى إن محلى حيث حبستنى»[١]

وفائدة هذا الشـرط أن المحرم إذا عرض له مـا يمنعه من تمام نسكه من مـرض أو صد عـدو جاز له التـحلل ولا شئ عليه .

---

(١) رواه البخارى (٥٠٨٩) فى «النكاح»، ومسلم (١٢٠٧) فى «الحج» .

مباحات الإحرام

(١) الاغتسال لغير احتلام كالتنظيف مثلاً ويجوز دلك الرأس، وقد ثبت ذلك بفعل رسول الله ﷺ فى حديث الصحيحين، ويجوز له غسل ثياب إحرامه وإبدالها بغيرها.

(٢) حك الرأس، ولو سقط بعض الشعر، وقد سُئلت عائشة رضى الله عنها عن المحرم : أيحك جسده؟ فقالت: نعم، فليحكه وليشدد ولو رُبط يداى، ولو أجد إلا رجلى لحككت .

(٣) الاحتجام، ولو بحلق الشعر مكان الحجم لحديث ابن بحينه رضي الله عنه قال : «احتجم النبى ﷺ وهو محرم فى وسط رأسه»[(١)]

(٤) شم الريحان، وطرح الظفر إذا انكسر .

---

(١) رواه البخارى (١٨٣٦) فى «جزاء الصيد» ومسلم(١٢٠٣) فى «الحج».

قال ابن عباس رضي الله عنه : «المحرم يدخل الحمام، وينزع ضرسه ويشم الريحان، وإذا انـكسر ظفره طرحــه ويقول رضي الله عنه : «أميطو عنكم الأذى، فإن الله عز وجل لا يصنع بأذاك شيئاً»[(١)]

(٥) الاستظلال بالخـيمة أو المظـلة «الشمســية» وفى السيارة، فقد صح أن النبى ﷺ أمر بنصب القبة له بـ «نمرة» ثم نزل بها .

(٦) للحاج أن يرتدى ســاعته ونظارته ويشـد الحزام على إزاره وأن يتـختم، ويأخــذ حـافظة نقوده، لعـدم النهى عن ذلك، «وقد سُئلت عـائشة رضى الله عنها : عن الهيمــان للمحرم ؟ فقالت : وما بأس ؟ ليـستوثق من نفقته» ؛ وعن عطاء : يتختم ويلبس الهيمان»[(٢)] .

(٧) قتل الحشرات المؤذية كالعقرب والحية والفأرة .

(٨) تغطيــة الرأس من نسيــان فإذا تذكــر بادر بإزالة الغطاء ولا شئ عليه .

---

(١) رواه البيهقى بسند صحيح.

(٢) رواه البخارى تعليقاً.

محظورات الإحرام

يحرم على المحرم الأمور التالية:

(١) الجماع ودواعيه: التقبيل واللمس بشهوة .

(٢) الفسوق أى اقتراف المعاصى .

(٣) الجدال ومخاصمة الرفقاء وغيرهم وذلك لقوله تعالى: ﴿ **فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ [البقرة: ١٩٧].

(٤) يحرم لبس المخيط للرجل، وهو المفصل على قدر العضو كالقلنسوة والقميص، وليس معنى المخيط الذى به خياطة ففى الحديث : «لا يلبس المحرم القميص ولا العمامة ولا البرنس ولا السراويل ولا ثوباً مسه ورسٌ ولا زعفران ولا الخفين إلا أن لا يجد»[١] .

---

(١) رواه البخارى (٥٨٠٦) فى «اللباس»، مسلم(١١٧٧) فى «الحج».

فمن لم يجد إزاراً جاز له لبس السراويل، وكذا من لم يجد نعلين جاز له لبس الخفين من غير قطع لحديث ابن عباس فى الصحيحين : «أن النبى ﷺ قال : من لم يجد نعلين فليلبس الخُفين، ومن لم يجد إزاراً فليلبس السراويل»[١].

(٥) ويحرم على المرأة المحرمة أن تلبس مخيطاً لوجهها كالبرقع والنقاب أو ليديها كالقفازين لقول النبى ﷺ : «لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين»[٢].

ويجوز لها بحضرة الرجال الأجانب أن تُدخل يديها فى جيبها وأن تغطى وجهها بالجلباب أو ببيشة، أو النقاب فإنه على الوجه، وفى حديث عائشة - رضى الله عنها - قالت : «كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ فإذا حازو بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه»[٣].

---

(١) رواه البخارى (١٨٤١) فى «اللباس»، مسلم (١١٧٩) فى «الحج».
(٢) رواه البخارى (١٨٣٨).
(٣) أخرجه أبو داود (١٨٣٣) وابن ماجه (٢٩٣٥) وأحمد (٢٣٥٠١).

(٦) عقد النكاح لحديث : «لا يَنكح المحرم ولا يُنكح ولا يخطب»[(١)].

(٧) تقليم الأظافر وإزالة الشعر لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

(٨) التطيب فإن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما وجد ريح طيب من معاوية وهو محرم قال له : «ارجع فاغسله، فإنى سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : الحاج الشعث التفل»[(٢)].

(٩) التعرض لصيد البر، ما عدا صيد البحر لقوله تعالى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المائدة: ٩٦].

ويجوز للمحرم أن يأكل من لحم الصيد الذى لم يصده أحد له الحديث: «صيد البر لكم حلال وأنتم حرم ما لم تصيدوه أو يُصد لكم»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (١٤٠٩) فى «النكاح».
(٢) رواه الترمذي (٢٩٩٨) .
(٣) رواه الترمذي (٨٤٦) وأحمد (١٤٤٧٨).

(١٠) قطع نبات الحرم وتنفيـر صيده لقوله ﷺ : «ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها »[١]،

ويعضد : أى يُقطع.

قـال شيـخ الإسلام ابن تيـمـيـة - رحمـه الله - : «وليس فى المحظورات ما يُفسد الحج إلا جنس الرفث، ولهذا ميز الله بينه وبين الفسوق .

وأما سائر المحظورات كاللباس والطيب فإنه وإن كان يأثم بهـا، فـلا تُفـسـد الحج عنـد أحـد من الأئمـة المشهورين» .

✪✪✪✪✪

(١) رواه البخارى (٢٠٩٠) فى «البيوع» ، (١٣٤٩) فى «الجنائز»، (١٨٣٣) فى «جزاء الصيد».

التلبيـــة

عن ابن عمـر رضى الله عنهمـا : «أن تلبيـة رسول الله ﷺ : لبـيك اللهم لبـيك، لبـيك لا شـريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»[(١)].

قال نافع : وكـان عبد الله بن عمـر رضي الله عنهما يزيد بها : «لبيك، لـبيك، لبيك وسـعديك والخـير بيديـك لبيك والرغباء إليك والعمل»[(٢)].

ولبى أنس رضي الله عنه : «لبيك بحـجة حقا، تعـبداً ورقاً»، وكانوا يضيفون : «لبيك ذا المعارج لبيك ذا الفواضل.

وذهب الجمـهور إلى أنه لا بأس بالزيادة على تلبـية رسول الله ﷺ ، فـقد سـمع الصحـابة ولم يقل لهم شيـئاً، والتلبيـة مشروعـة بإجماع العلمـاء، وقد ذهب

---

(١) رواه البخارى (١٤٥٩) فى «الحج».
(٢) رواه مسلم (١١٨٤) فى «الحج».

الشافـعى وأحمـد إلى أنها سنة وأنه يسـتحب اتصـالها بالإحرام، فلـو نوى النسك ولم يُلبى، صح نسكه دون أن يلزمه شئ لأن الإحرام عندهما ينعقد بمجرد النية .

فضلهـا :

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما من محرم يَضْحى يومه - يظل يومه - يُلبى حتى تغيب الشمس، إلا غابت ذنوبه فعاد كما ولدته أمه»(١) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مـا أهَلَّ سهلٌ قـط إلا بُشـر، ولا كبَّـر مكبِّـر قط إلا بُشر، قيل يا نبى الله : بالجنة ؟ قال : نعم»(٢) .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «ما من مسلم يُلبى إلا لبى من عن يمينه وشماله، من حجر أو شجر أو مدر من هاهنا وهاهنا»(٣) .

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٩٢٥) .
(٢) رواه الطبرانى وسعيد بن منصور .
(٣) رواه ابن ماجه (٢٩٢١).

استحباب الجهر بالتلبية

عن زيد بن خالد: أن النبى ﷺ قال : «جاءنى جبريل عليه السلام فقال : مُر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية، فإنها من شعائر الحج»(١) .

وعن أبى بكر رضي الله عنه قال : «أن رسول الله ﷺ سُئل : أى الحج أفضل ؟ فقال : العج «رفع الصوت بالتلبية» والثج -نحر الهدى-»(٢) .

وعن أبى حازم -رحمه الله- قال : «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أحرموا لم يبلغوا الروحاء حتى تبح أصواتهم» .

قال عطاء - رحمه الله - يرفع الرجال أصواتهم، أما المرأة فتُسمع نفسها، ولا ترفع صوتها، وتُستحب التلبية على كل حال كما قال الشافعى - رحمه الله - .

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٩٢٣) وأحمد (٢١١٧٠) والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٢) رواه الترمذى (٨٢٨) وابن ماجه (٢٩٢١) .

وقتهـا :

يبدأ المحرم بالتلبيــة من وقت الإحرام إلى رمى جمرة العقبة يوم النحــر، «فإن رسول الله ﷺ لم يزل يلبى حتى بلغ الجمرة»[(١)] .

وهذا قول الجمهور، وقال أحمد وإسحاق -رحمهما الله-: «يلبى حتى يرمى الجمرات جميعها ثم يقطعها» .

أما المعتمر فيلبى حتى يستلم الحجر الأسود .

فعن ابن عــباس رضي الله عنهما : أن النبى ﷺ «كان يمسك عن التلبية فى العمرة إذا استلم الحجر»[(٢)] .

والعمل عليه عند أكثر أهل العمل .

✪✪✪✪✪

---

(١) رواه البخارى (١٦٧٠) فى «الحج»، ومسلم (٣١٤٧) فى «الحج» .
(٢) رواه الترمذى (٩١٩)، وقال: حديث حسن صحيح وأبو داود (١٨١٧) .

حجة النبى ﷺ حجة الوداع (١)

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : «أن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أُذِّن فى الناس فى العاشرة: أن رسول الله ﷺ حاجٌ فقدم المدينة بشرٌ كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ يعمل مثل عمله» .

فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة، فولدت «أسماء بنت عُميس» محمد بن أبى بكر فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع ؟ قال : اغتسلى واستثفرى «خرقة تمنع سيلان الدم» بثوب وأحرمى .

فصلى رسول الله ﷺ فى المسجد ثم ركب القصواء «اسم الناقة» حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرتُ

---

(١) خرج رسول الله ﷺ إلى الحج فى السنة العاشرة للهجرة، وخرج معه قريب من مائة ألف حاج من غير النساء والصبيان يحجون بحجته، حيث قال لهم ﷺ : «خذوا عنى مناسككم فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد عامى هذا» وساق الضحايا من المدينة المنورة وهى حجته الوحيدة ﷺ .

إلى مُد بصرى بين يديه من راكب ومن ماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسـول الله ﷺ بين أظـهـرنا، وعليـه يـنزل القـرآن الكريم، وهو يعرف تأويله، ومـا عمل به من شئ عملنا به، فأهلَّ «رفع صوته بالتلبية» بالتوحيد :

لبـيك اللهم لبيك، لبـيك لا شريك لك لبـيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

وأهلَّ الناس بهذا الذى يهِّلون به، فلم يُردّ رسول الله عليهم شيئاً منه، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته .

قال جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لسنا ننوى إلا الحـج، لسنا نعرف العمرة، حتى إذا أتينا البـيت معـه، استلم الركن فرَمِل ثلاثاً، ومـشى أربعـاً، ثم نفذ إلى مـقـام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقرأ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥]، فجعل المقام بينه وبين البيت، فكان أبى يقول ولا أعلمه إلا عن النبى ﷺ كان يقرأ فى الركعتين :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ .

ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٨]، أبدأُ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا، فرقى عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة، فوحّد الله وكبّره وقال :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده - ثم دعا بين ذلك قال : مثل هذا «ثلاث مرات» .

ثم نزل إلى المروة، حتى إذا انصبت قدماه فى بطن الوادى، سعى حتى إذا صعدنا مشى، حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة، فقال ﷺ : «لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسُق الهدى، وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدىٌ فليحلّ، وليجعلها عمرة، فقام سراقة بن مالك بن جعشم رضي الله عنه فقال يا رسول الله :

آلعامنا هذا أم لأبد ؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه، واحدة في الأخرى، وقال : دخلت العمرة فى الحج مرتين، لا إله إلا الله بل لأبد أبد» .

وقدم علىٌّ رضي الله عنه من اليمن ببُدن النبى ﷺ ووجد فاطمة - رضى الله عنها - ممن حلَّ ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت رضى الله عنها : إن أبى أمرنى بهذا، قال : فكان علىٌّ رضي الله عنه يقول بالعراق : فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرّشاً على فاطمة للذى صنعت ومستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه، فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها، فقال ﷺ : صدقتْ، صدقتْ، ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ قال : قلت : اللهم إنى أُهلُّ بما أهل به رسولك ﷺ ؛ قال : فإنى معى الهدى فلا تحل ؛ قال : فكان جماعة الهدى الذى قدم به علىٌّ من اليمن؟ والذى أتى به النبى ﷺ ، مائة، قال : فحلّ الناس كلهم وقصروا، إلا النبى ﷺ ومن كان معه هدىٌ

فلما كان يوم التروية «يوم الثامن من ذى الحجة »، توجهوا إلى منى فأهلوا الحج وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر .

ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تُضرب له بنمرة ؛ فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام «أى بالمزدلفة» كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضُربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس، أمر بالقصواء فرحلت (جعل عليها الرحل) له فأتى بطن الوادى (وادى عرفة) فخطب الناس وقال ﷺ [١] :

---

(١) هذه الخطبة اشتملت على قواعد عظيمة من قواعد الإسلام وتحقق بها كثير من منافع الحج ﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات﴾ فقد هدم فيها أمر الجاهلية وخص بالذكر دماء وربا الجاهلية، وعظم فيها حرمة الزمان والمكان، ورد فيها الحقوق لأصحابها واستشهدهم أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فشهدوا له ﷺ بذلك فجزاه الله خير ما جازى نبياً عن أمته.

«إن دماءكم وأمـوالكم حرام عليكم كحـرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودمـاء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضعـه من دمائنـا، دم ربيعة ابـن الحارث، كان مسترضعاً فى بنى سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضـوع (باطل)، وأول ربا أضع ربانا، ربا عـباس بن عبد المطلـب، فإنه موضوع كله، فاتقـوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فـرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرّح ولهن عليكم رزقهن وكـسوتهن بالمعـروف، وقد تركت فـيكم ما لن تضلوا بعده، إن اعتصمـتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عنى فـما أنتم قـائلون ؟ قالوا : نشـهد أنك قـد بلغت وأديت ونصحت، فقـال : بأصبعه السبابة يرفـعها إلى السماء، ينكتـها إلى الناس، اللهم أشهد اللهم فـاشهد (ثلاث مرات).

ثم أذن، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصلي بينهما شيئاً، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة.

فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص، وأردف أسامة رضي الله عنه خلفه، ودفع رسول الله ﷺ، وقد شنق (ضم وضيق) للقصواء الزمام حتى أن رأسها ليصيب موركَ رحله، ويقول بيده : أيها الناس السكينة السكينة كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة فصل بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبِّح بينهما شيئاً، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة .

ثم ركب القصواء، حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره ووحدّه فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً

فـدفع قبل أن تطلع الشـمس وأردف الفـضل بن عبـاس وكان رجلاً حـسن الشعر أبيض وسيمـاً فلما دفع رسول الله ﷺ مـرت به ظُعُن (المرأة على البعـير) يجـرين فطفق الفـضل ينظر إليـهن فوضع رسـول الله ﷺ يديه على وجه الفضل، فحـول وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحـوّل رسول الله ﷺ يده من الشق الآخـر على وجه الفضل، يصرف وجهـه من الشق الآخر ينظر، حتى أتى بطن مُحسِّر فـحرّك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجـمرة الكبرى، حتى أتى الجـمرة التى عند الشجرة (جمـرة العقبة) فرماها بسبع حـصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حـصى الخذف (صغير)، رمى من بطن الوادى (منى عن يمينه ومكه عن يساره) .

ثم انصـرف إلى المنحر فنحـر ثلاثاً وسـتين بيـده ثم أعطى علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فنحر ما غبـر (ما بقى) وأشركه فى هديه، ثم أمر من كل بَدْنة ببضعة (قطعة) فجُعلت فى قدر، فطُبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها .

ثم ركب رسول الله ﷺ ، فأفاض إلى البيت «طواف الإفاضة» فصلى بمكة الظهر، فأتى بنى عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال ﷺ : «انزعوا بنى عبد المطلب، فلولا يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم، فناولوه دلواً فشرب منه»[(١)] .

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ حلق شعر رأسه، وحلق كثيرون من الصحابة رضي الله عنهم ، وقصّر بعضهم، وقد دعا ﷺ : للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين مرة.

وخطب يوم النحر يعلمهم المناسك ويقول : «خذوا عنى مناسككم، فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه»[(٢)] .

وقد ورد أن النبى ﷺ لم يسع بين الصفا والمروة ولا أصحابة الذين حجوا حجة القِران، وطاف الباقون

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨) فى «الحج».
(٢) رواه مسلم (١٢٩٧) فى «الحج».

الذين حــجوا حــجة مــتــمتع، ثم حلَّ الرســول ﷺ وحلَّوا الحلِّ كله بما فــيه إتيــان النساء، ثم صلى الظــهر بمكة، وقيل بمنى .

ثم رجع ﷺ إلى منى فبــات فيها، فبــقى بها أيام التــشريق يرمى فى كــل يوم الجمــرات الثلاث بإحــدى وعشرين حصاة، لكل جمرة سبع وذلك بعد الزوال .

✪✪✪✪✪

خلاصة أعمال الحج والعمرة

أولاً : ماذا يفعل المعتمر « مناسك العمرة » ؟ .

(١) إذا قارب الميقات يقص شعره ويقلم أظافره ويغتسل ويتطيب ويحرم بإزار ورداء ويلبس النعل، ويقول[(١)] :

(لبيك اللهم بعمرة)

(٢) إذا كان الحاج مسافراً بالطائرة وصعب عليه تحديد الميقات، أحرم من بيته، أو من المطار بعد أن يغتسل ويتطيب وينوى بعد قليل من ركوبه الطائرة، إذا خشى تجاوز الميقات .

---

(١) وتحرم المرأة، ولو كانت حائض أو نفساء بثيابها بعد الاغتسال، والمحرمة لا تنتقب ولا تلبس القفازين، فإذا كانت بحضرة الرجال الأجانب غطت وجهها بجلبابها أو ببيشة ونحو ذلك، وأدخلت يديها داخل جلبابها، لما ورد عن أم المؤمنين رضي الله عنها، إذ النقاب يفصل علي قدر العضو ولذلك تمنع المحرمة منه، أما غير المحرمة فإنها تنتقب وتلبس القفازين.

(٣) يبدأ بالتلبية ويثابر عليها :

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك

إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك

(٤) يدخل المسجد الحرام ويقطع التلبية، عندما يشرع فى الطواف بالكعبة، ويطوف سبعة أشواط حول الكعبة، مبتدئاً من الحجر الأسود قائلاً :

« اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاءً بوعدك، واتباعاً لسنة نبيك ﷺ، الله أكبر »، ويسمى هذا الطواف طواف القدوم وفيه، يضطبع[(١)]، ويرمل -أى يسرع فى الأشواط الثلاثة الأولى- وفى كل شوط يقبل الحجر الأسود إذا استطاع أو يلمسه بيده ويقبلها أو يستلمه بنحو عصا أو نحوها ويقبلها، أو يشير إليه

---

(١) الاضطباع: أن يدخل الرداء من تحت إبطه، ويرد طرفه على يساره، ويبدى منكبه الأيمن ويغطي الأيسر -ويحرص على تغطية منكبيه قبل طوافه وبعده خصوصاً أثناء الصلاة، وليحذر الصلاة عارى المنكبين أو إحداهما فهى مخالفة للسنة.

ويقول فى كل مرة : «الله أكبر»، ويلمس الركن اليمانى إذا استطاع «وهو الركن الذى يسبق الحجر الأسود» دون أن يقبله، فإن لم يستطع مر دون إشارة إليه .

(٥) ويدعو بما شاء خلال طوافه ، ويحسن أن يكثر من دعاء : ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]؛ بين الركنين اليمانيين، والطواف صلاة غير أنه شُرع فيه الكلام، وعلى من يطوف أن يُكثر من ذكر الله عز وجل، ولا بأس بتلاوة شئ من القرآن .

(٦) الطواف يُشترط له الطهارة، فلو قطعه لوضوء أو صلاة أو شرب ونحوه يبنى على الأشواط التى فعلها ويستكمل بقيتها، ولو تشكك مثلاً هل طاف ثلاثة أو أربعة يبنى على الأقل أى أنه طاف ثلاثة ويستكمل بقية السبعة -المرأة تطوف من خلف صفوف الرجال ولا تَرمُل- .

(٧) ثم يذهب إلى مقام إبراهيم، وهو يقرأ رافعاً صوته : ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]؛

فيجعل المقـام بينه وبين الكعبة، فيصلى ركـعتين يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[الكافرون: ١]، وفى الثانية : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١].

(٨) ثم يذهب إلى زمزم فـيشرب منـها ويصب على رأسه قليلاً ويدعو بما شاء .

(٩) ويرجع إلى الحجـر الأسود فيستلمـه إذا استطاع أو يلمسه أو يشير إليه وهو يقول : «الله أكبر» .

(١٠) ثم يسعى بين الصفـا والمـروة سبعة أشـواط، مبتدئاً من الصفا، ويقـول : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٥٨]، نبدأ بما بدأ الله به، ويجتهد أن يرى البيت منه فيستقبله .

(١١) ويذكـر الله عـز وجل بلفظ : «لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد» (ثلاثاً).

ثم يقول : «لا إله إلا الله وحده أنجـز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده» (ثلاثاً) ويدعو بما شاء .

(١٢) ثم ينزل ماشياً إلى المروة، ذاكراً وداعياً بينهما بما تيسر، ولا بأس بتلاوة شئ من القرآن، ويُسرع بين العلم والأول والعلم الثانى، ويمشى بالمعتاد بين العلم الثانى والمروة، وإذا وصل إلى المروة صعد إليها وهو ينظر إلى الكعبة، أما المرأة فلا تُسرع الخطى .

(١٣) فيفعل على المروة كما فعل فى الصفا من الذكر والدعاء، ولم يثبت عن النبى ﷺ ذِكرٌ محدد لكل شوط سواء فى الطواف بالكعبة أو فى السعى بين الصفا والمروة .

(١٤) يفعل ذلك سبعة أشواط، والانتقال من الصفا إلى المروة يُعتبر شوطاً واحداً من الأشواط السبعة، وكذلك الرجوع من المروة إلى الصفا يُعتبر شوطاً ثانياً وهكذا، وينتهى فى المروة .

ولا يُشترط الطهارة فى السعى، ويجوز الجلوس للإستراحة ثم مواصلة السعى .

(١٥) يُعمم الرجل رأســه بالتقصيــر، والحلق أفضل إلا إذا كان على مقربة من الحج حتــى يجد شعراً يحلقه فى الحج، أما المرأة فتأخذ من ضفيرتها قدر الأنملة، ولا تكشف شعرها أمام الرجال الأجانب .

(١٦) يلبس الرجل ثيابه العــادية ويُباح له كل شئ من محظورات الإحرام كالتطيب وإتيان امرأته، ويبقى هكذا إلى اليــوم الثــامن من ذى الحــجة حــيث تبــدأ مناسك الحج.

✪✪✪✪✪

الحـــج الأكبـــر

ماذا يفعل الحاج المتمتع في اليوم الثامن يوم التروية ؟

(١) يغتسل ويتطيب ويلبس إحرامه من مكانه فى مكة ويقول : «لبيك اللهم بحج» .

(٢) يذهب إلى منىً ويبيت فيها ويؤدى صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وفجر اليوم التاسع .

(٣) هذه هى السُّنة فاحرص عليها حتى تُثاب على الواجب والمستحب ؛ ولا تلتفت لأقوال المطوفين الذين يتوجهون بالناس مباشرة إلى عرفات فهى حجة وقد لا تتكرر، والإتباع كله خير، وقد ذهب البعض إلى وجوب المبيت بمنىً ليلة عرفة .

ماذا يفعل الحاج في اليوم التاسع من ذي الحجة ؟

(١) يذهب إلى عـرفـات من منى وهو مـحرِم بعـد طلوع الشمس .

(٢) ينزل بنمرة عند عـرفات ويصلى الظهر والعـصر هناك جمع تقديم بأذان وإقامتين .

(٣) يقف بعرفات «وعرفات من الحِلِّ» حتى لو دخل المسجد[1] وسيجد العلامات التى توضح له ذلك .

ولا يُسَنُّ الصعـود على جبل الرحـمة[2] ويكثر من التلبـيـة والدعاء والذكـر بـ : «لا إله إلا الله وحـده لا شريك له»، ويدعو وهو مستقبل القبلة ويكون مفطراً .

---

(١) جزء من المسجد داخل حدود الحـرام والجزء الآخر بالحل، والوقوف بعد الصلاة ينبغي أن يكـون بعرفات أي بالحل وهي محددة بأعـلام واضحة والوقوف بها ركن لا يتم الحج إلا به.

(٢) ثبت بالإسناد الصحيح عن عمـر بن الخطاب ﷺ : «كان في سفر فرأى المسلمون يتـابون مكان يصلون فيه، فقال: مـا هذا؟ قالوا: مكان صلي فيه رسول الله ﷺ فـقال: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيـائكم مساجد؟! إنما هلك من كان قبلكم بهذا، من أدركته الصلاة فليصل وإلا فليقض».

(٤) سماع الخطبة فى عرفة .

(٥) الوقوف بعرفة ركن الحج الأعظم، فالحج عرفة، كما ورد فى الحديث، ويبتدئ الوقوف من فجر يوم التاسع إلى فجر يوم النحر، فإذا وقف بالنهار وجب عليه مد الوقوف إلى ما بعد الغروب، أما إذا وقف بالليل فلا يجب عليه شئ، فإذا غربت الشمس دفع الحاج من عرفة إلى المزدلفة وعليه السكينة .

(٦) يجمع بين المغرب والعشاء جمع تأخير فى المزدلفة بأذان وإقامتين، ويبيت بها دون إحياء الليل - والمزدلفة من الحرم - والبيات بها واجب ومن تركه فعليه شاة لفقراء الحرم، ويكون آثماً بالإضافة لذلك إذا تركه بغير عذر شرعىّ .

(٧) يجوز للضعفاء والنساء والصبيان الدفع من المزدلفة إلى منى بعد منتصف الليل ويذهب معهم وليهم من الرجال، أما بقية الحجيج فيبيتون بمنى ويحرصون على ذلك .

(٨) بعد صلاة الفجـر فى المزدلفة، يقف الحاج على المشعر الحرام «والمزدلفة أى جَمْع كلهـا موقف» مستقبل القبلـة داعياً حـامداً مكبـراً مهللاً حـتى تُسفـر الشمس جداً.

(٩) يخـرج من المزدلفة قـبل أن تطلع شمس اليـوم العاشر إلى منى لرمى جمرة العقبة .

(١٠) الإسـراع قليلاً فى بطن مـحـسِّر «وهو جـبل مـعـروف فـى المزدلفـة، وعنده أهلـك الله عـز وجل أصحاب الفيل» .

✪✪✪✪✪

ماذا يفعل الحاج في اليوم العاشر «يوم النحر - يوم العيد» ؟

(١) الذهاب إلى جمرة العقبة فى منى من طريق غير طريق الذهاب إلى عرفة .

(٢) يرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس، ويكبر مع كل حصاة ويترك التلبية، ويُباح له أن يلقيها ليلاً .

ويجوز الإنابة فى الرمى عمن لا يستطيع ذلك، كالمريض فيرمى الإنسان عن نفسه ثم يرمى عمن وكله ؛ كل واحد سبع حصوات، أما من كان عنده المقدرة على الرمى - من الرجال والنساء - فلا يُوكل غيره فى ذلك .

(٣) يذبح فى منىً أو مكة، وتُجزئ الشاة عن الواحد، أما البقرة والإبل فيصح أن يشترك فيه سبعة، ويُشترط أن يكون الهدى سليماً من العيوب، ويُسَنّ الأكل من الذبيحة ويجوز الإدخار منها .

ويحلق أو يُقصر[١] والحلق أفضل على أن يبدأ بيمين المحلوق، ويمكنه تأجيل الـذبح إلى اليوم الرابع من أيام العيد «الثالث عشر من ذى الحجة» .

ولا يجوز الذبح قـبل اليوم العاشر كمـا يفعل بعض الحجيج، إذ الذبح نُسك وعبادة لا تؤدى إلا فى وقتها.

(٤) ويلبس ملابســه كالمعتـاد، ويتطيب ويحل الحل الأول فيـفعل مـا يريد غير أنه لا يأتـى النساء، وله أن يحل الحل الأول بعد الرمى والحلق وقبل الذبح أى بعد نُسكين[٢] .

(٥) سماع الخطبة يوم النحر .

---

(١) ذهب البعض إلى أن المحرم إذا رمى جمـرة العقبة حل له كل شيء إلا النساء ولو لم يحلق وذلك لأن عائشة رضي الله عنها طيبت رسول الله ﷺ حين رمى جمرة العقبة يوم النحر قبل أن يطوف بالبيت «قاله ابن قدامه في – المغني–» وهو الصحيح إن شاء الله تعالي.

(٢) لا حرج عمن قدم شيئاً من مناسك يوم النحر أو أخر، فما سئل رسول الله ﷺ عن شيء قدم قبل شيء إلا قال: لا حرج، فمن قال: حلقت قـبل أن أنحر، قـال له: لا حرج، وكـذلك من حلق قـبل أن يرمى أو طاف قبل أن يذبح، أو رمى . . الحديث «رواه البخارى».

(٦) يذهب إلى مكة ويطوف طـواف الإفاضـة بدون رمل واضطباع، كمـا يُصلى ركعتين عند مـقام إبراهيم ويشرب من مـاء زمزم ويصب منه على رأسه كمـا كان يفعل فى العمرة .

(٧) ويسعى بين الصـفا والمروة - سبعـة أشواط تبدأ بالصفـا وتنتهى بالمروة - ويتلوا الأذكـار والأدعية كـما فعل فى العمرة .

(٨) التحلل الثانى - الذى تبـاح فيه النساء - يكون بعـد ثلاثة أنساك من الأنـساك الأربعـة، على أن يكون طواف الإفاضة من هذه الثلاثة .

(٩) يعود الحاج إلى منى للبيات بها فهذا واجب من واجبـات الحج إلا على السقـاة، كما فى الصـحيـحين والرعاة كمـا فى السُّنن، وعلى من لا يستطيع الرمى أن يبـيت بمنى فى الليالـى الثلاثة، أو ليلتى الحـادى عشـر والثانى عشر عند الأئمة الثلاثة .

مـاذا يفعل الحاج في اليوم الحادي عشر « اليوم الأول من أيام التشريق » ؟

(١) الرجوع إلى منى والبقاء فيها أيام التشريق الثلاثة.

(٢) يرمى الجمرة الصغرى بعد الزوال[١] بسبع حصوات متفرقات «واحدة واحدة» ويكبر عند كل حصوة[٢]، ولا يجوز الرمى بما سبق رميه، كما لا يجوز الرمى بالأحذية والحجارة والبرتقال .

(٣) ثم يرمى الجمرة الوسطى بسبع حصوات[٣]، ولا يشترط إصابة الجمرة، ولكن يجب أن تقع الحصوة فى المرمى حتى يُعتد بها وإلا رمى مكانها أخرى، وهذا يتحراه فى رمى الجمار فى كل الأيام .

---

(١) من الأخطاء: التي يقع فيها الكثير من الحجاج رمي الجمار أيام التشريق ضحي مع أن وقته إنما يبدأ بزوال الشمس في الأيام الثلاثة التي بعد العيد.

(٢) ويسن بعد رمي الجمرة الصغري أن يتقدم قليلاً فيقوم مستقبلاً القبلة ويجعل الجمرة عن يساره ويدعو دعاءً طويلاً بما أحب ويرفع يديه.

(٣) ويسن له أن يتقدم عنها قليلاً بعد رميها ويجعلها عن يمينه فيستقبل القبلة ويدعو دعاءً طويلاً ويرفع يديه.

(٤) وبعد ذلك يرمى جمرة العقبة بسبع حصوات ويُكبر[١] .

(٥) يجمع الحاج الحصوات من منزله بمنى أو من الطريق، ومن شك هل رمى خمسة أو ستة مثلاً يجعلها خمسة، ويُكمل بقية السبعة ولا يُسن غسل الحصوات .

ماذا يفعل الحاج في اليوم الثاني عشر «وهو اليوم الثاني من أيام التشريق » ؟

يفعل ما فعله فى اليوم الحادى عشر، وله فى هذا اليوم أن يتعجل ويترك منى بعد رمى الجمرات الثلاث على أن يكون خروجه منها قبل غروب الشمس وإلا لزمه البيات حتى يرمى الجمرات الثلاث فى اليوم الثالث عشر بعد الزوال، ويستثنى من ذلك من تأهب واستعد

---

(١) من ترك التكبير فلا شيء عليه، ويجعل البيت عن يساره ومني عن يمينه فإذا فرغ من رميها فإنه لا يقف عندها.

قبل الغـروب ولكن حبـسه حـابس فلا حرج عـليه فى الخروج من بعد الغروب .

مما يُؤسَف له وقوع بعض الإصـابات والحوادث مثل حـادث «جسـر الجـمرات» الذى راح ضـحـيتـه بعض المسلمين، وليـس علاج ذلك فى المخالفـة وإباحة رمى الجمرات بعد الفجر !! أو تقليل عدد الحجيج !!

وإنما يكون بنشر السُّنن وتوضـيح الرُّخص، بحيث يتم تجنب الزحـام وقت الزوال، كـأن يتم الرمى بعـد العـصـر أو قـبل المغـرب، مع بذل الوِسع بحـيث لا يحدث تصادم بين القادم للرمى والمنصرف منه، وتهيئة المزيد من الخدمات والتوسعات، وقد حدث أن حج ما لا يقل عن خـمـسـة مـلايين فى بعض الأعـوام دون حوادث تُذكر .

ماذا يفعل الحاج في اليوم الثالث عشر إذا لم يتعجل ؟

إذا لم يتعجل وهو الأفضل، وبقى إلى هذا اليوم، رمى الجمرات الثلاث بعد الزوال، كما فعل فى اليوم الحادى عشر وقد رخَّص النبى ﷺ فى التعجيل ولم يتعجل هو .

وهكذا يكون قد أنهى أعمال الحج ما عدا طواف الوداع .

✪✪✪✪✪

طـواف الـوداع

على الحاج أن يقوم به قبل أن يترك مكة المكرمة، فيكون آخـر عهـده بالبـيت الطواف، وهذا واجب مـن واجبـات الحج، وهو سنة مستحبة فى العمرة، ويكون بعد الفراغ من شراء الحاجات وحزم الأمـتعة، ويرخص فى النفر من مكة دون وداع للحائض والنفساء، ولا شئ عليها.

وقد كان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعوا فى هذا الطواف:

«اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك، حملتنى على ما سخرت لى من خلقك، وسيَّرتنى فى بلادك حتى بلغتنى - بنعـمتك - إلى بيـتك، وأعنتنى على أداء نُسكى، فـإن كنت رضيت عنى، فازدد عنى رضا، وإلا فمن الآن فارض عنى قبل أن تنأى دارى، فـهذا آوان انصرافى إن أذنت لى، غيـر مسـتبدل بك ولا بيـتك، ولا راغب عنك، ولا عن بيتك، اللهم فـاصحبنى الـعافية فى بـدنى واجمع لى بين خيرى الدنيا والآخرة إنك على كل شئ قدير» .

حكم الحائض قبل طواف الإفاضة(١)

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : عن المرأة إذا جاءها الحيض فى وقت الطواف، ما الذى تصنع؟

فأجاب : الحمد لله، الحائض تقضى المناسك كلها إلا الطواف بالبيت ، فإنها تجتهد أن لا تطوف إلا طاهرة، فإن عجزت عن ذلك ولم يمكنها التخلف عن الركب حتى تطهر وتطوف، فإنها إذا طافت طواف الزيارة وهى حائض أجزأها فى أحد قولى العلماء، ثم قال أبو حنيفة وغيره : يجزئها لو لم يكن لها عذر لكن أوجب عليها بدنة، وأما أحمد : فأوجب على من ترك الطهارة ناسياً دماً وهى شاة .

---

(١) طواف الإفاضة ركن من أركان الحج ويطلق عليه اسم طواف الزيارة، وأول وقته نصف الليل من ليلة النحر ولا حد لآخره ولكن لا تحل له النساء حتي يطوف، ويكره تأخيره عن أيام التشريق.

وأمـا هذه العـاجـزة عن الطواف وهى طاهرة، فـإن أخرجت دماً فهو أحوط، وإلا فلا يتبين أن عليها شيئاً، فإن الله عز وجل لا يكلف نفساً إلا وسعها .

وقال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] وقـال النبى ﷺ : «إذا أمـرتكم بأمـر فـأتوا منه مـا استطعتم »، وهذه لا تستطيع إلا هذا .

والصـلاة أعظم من الطـواف، ولو عـجـز المصلى عن شرائطهـا : من الطهارة أو سـتر العورة أو اسـتقبـال قبلة، صلى حسب حـاله، فالطواف أولى بذلك، كمـا لو كانت مستـحاضة ولا يمكنها أن تطوف إلا مع النجاسـة، نجاسة الدم، فـإنـهـا تصلى وتطـوف على هذه الحـالة بـاتفـاق المسلمين، إذا توضأت وتطهرت، أو فعلت ما تقدر عليه .

وينبغى للحائض إذا طافت أن تغتـسل وتستثفر أى : تسـتحـفظ، كـمـا تفعـله عند الإحرام، وقـد أسـقط النبى ﷺ عن الحـائـض طواف الوداع، وأسـقط عن أهله السقـاية والرعاة المبيت بمنى، لأجل الحـاجة، ولم

يوجب عليهم دماً، فإنــهم معذورون فى ذلك، بخلاف غــيره، وكــذلك من عجــز عن الرمى بنفســه لمرض أو نحــوه، فــإنه يستــنيب من يرمى عنه، ولا شئ عليــه، وليس من ترك الواجب للعجــز كمن تركه لغــير ذلك، والله أعلم ا.هـ .

وقد ذكــرتُ جواز تعاطى دواء لــرفع الحيض، إذا لم يتــرتب على ذلك مــضرة، وكــانت عــائشة رضي الله عنها تأمــر النساء بتعجيل الإفاضة يوم النحر مخافة الحيض .

✪✪✪✪✪

الأنســاك الثـلاثـة
حــج التمتــع والقــران والإفــراد

من وصل إلى الميـقات فى أشــهر الحج وهى شــوال وذو القعدة والعشر الأول من ذى الحجة، فإنه مُخير بين ثلاثة أنساك :

(١) حـج التمتـع :

العمرة وحدها ثم الحج :

وهو مــا يُسمى بـ «التــمتع» وهو أن يُحــرم بالعمــرة وحــدها فى أشــهــر الحج، فــإذا وصل إلى مكة، طاف وسعى سعى العــمرة ثم حلق أو قصّر، فــإذا كان اليوم «الثامن من ذى الحــجة» يوم التروية أحــرم بالحج وحده وأتى بجميع أفعاله، وإن أخــر إحرامه إلى اليوم التاسع فلا حرج عليه لكنه خلاف السُّنة .

وصفة التلفظ فى هذا النسك أن يقول عند الإحرام :

لبيك عمرة مع النية القلبية لهذا النسك ثم يقول فى اليوم الثامن من ذى الحجة : لبيك حجاً .

(٢) حج الإفراد :

وهو أن يُحرم بالحج وحده فى أشهر الحج :

فإذا وصل مكة طاف طواف القدوم، ثم سعى سعى الحج، وإن شاء أخر سعى الحج فيسعى بعد طواف الإفاضة[١]، ولا يحلق ولا يُقصر ولا يحل من

---

(١) يقول ابن تيمية - رحمه الله - « مجموع الفتاوى ج ٦٢ ص ٨٣١» : وليس علي المفرد إلا سعي واحد ، وكذلك القارن عند جمهور العلماء، وكذلك المتمتع في أصح أقوالهم وهو أصح الروايتين عن أحمد رليس عليه إلا سعى واحد ، فإن الصحابة رضي الله عنهم الذين تمتعوا مع النبي ﷺ لم يطوفوا بين الصفا والمروة إلا مرة واحدة قبل التعريف فإذا اكتفي المتمتع بالسعي الأول أجزأه ، ذلك كما يُجزئ المفرد والقارن وكذلك قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قيل لأبي : المتمتع كم يسعي بين الصفا والمروة ؟ قال : إن طاف طوافين يعنى بالبيت وبين الصفا والمروة ، فهو أجود ، وإن طاف طوافاً واحداً فلا بأس وإن طاف طوافين فهو أعجب إليّ . . . عن ابن عباس أنه كان يقول : المفرد والمتمتع يُجزئه طواف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ا.هـ .

إحرامه، بل يبقى على إحـرامه حتى يحل منه بعد رمى جمرة العقبة يوم العيد .

وصفة التلفظ فى هذا النسك أن يقول عند الإحرام :

لبيك حجاً مع النية القلبية لهذا النسك .

(٣) حج القِران :

وهو أن يحرم بالعمرة والحج جميعاً فيُقرِن بينهما

أو يُحرم بالعمرة أولاً ثم يدخل الحج عليها قبل أن يشرع فى طواف العـمرة، وعمـل القارن مثـل عمل المفـرد سواء بسواء، إلا أن القارن عليه الهدى، كـالمتمتع، أما المفرد فلا هدى عليه، وصفة التلفظ فى هذا النسك هى أن يقول عند الإحرام : لبيك عمرة وحجاً مع النية لهذا النسك .

وهذه الأنسـاك الثلاثة جـائزة، والخـلاف فى تحقـيق الأول منها، وأفـضلها حج التـمتع، فهـو الذى أمر به النبى ﷺ أصحابه وحثهم عليه، إلا إذا كان قد ساق معه الهدى فإن القِران فى حقه أفضل، لأن النبى ﷺ

أمر من ليس معه هدى أن يقلب إحرامه إلى عمرة ثم يُقصر ويحل وقال : «لولا أنى سُقت الهدى لفعلت مثل الذى أمرتكم به»(١) وأمر من ساق الهدى وقد لبى بالعمرة أن يُحرم بالحج مع العمرة.

والذى يلزمه الهدى من أصحاب الأنساك الثلاثة هو المتمتع والقارن، أما المفرد فلا هدى عليه، وكذلك حاضروا المسجد الحرام، فلا هدى عليهم، أما من كانوا بعيدين عن الحرم بمسافة تقصر فيها الصلاة كأهل جدة فإنهم يلزمهم الهدى .

✪✪✪✪✪

---

(١) رواه مسلم (١٢١٦) في «الحج».

حكم من يجد الهدى[1] أو ضاقت نفقته

يقول تعالى : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فيذبح المتمتع شاة سليمة غير معيبة، وذلك فى يوم النحر أو فى أيام التشريق، ويُسن له أن يأكل ويدخر ويتصدق ويجوز للسبعة أن يشتركوا فى بدنة أو بقرة، فمن لم يجد ثمن الهدى أو ضاقت نفقته عن تلبية سائر احتياجات الحج أو سُرق مثلاً فعليه أن يصوم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله، وهذه الثلاثة يصومها قبل يوم النحر أو بعده، إذ لم يُرَخِّص النبى ﷺ فى صيام أيام التشريق إلا لمن لم يستطع

(١) الهدى: يجب على القارن والمتمتع ويستحب للحاج المفرد والمعتمر المفرد، فإذا وجب في النسك ولم يستطعه انتقل إلى الصيام.

صيام الثلاثة أيام فى الحج، جاز له أن يصوم العشرة عندما يرجع إلى أهله، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾

[البقرة: ١٦٩].

✪✪✪✪✪

حكـم من ارتكـب محظـوراً من محظـورات الإحـرام

من كـان له عـذر واحتـاج إلى ارتكاب مـحظورات الإحرام، غير الجمـاع، كحلق الشعر، ولبس المخيط[١] - كالسروال والقميص - اتقاءً لحر أو برد، ونحو ذلك، لزمه أن يذبح شاة، أو يطعم ستة مساكين، كل مسكين نصف صـاع أو يصـوم ثلاثة أيام وهو مخـيـر بين هذه الأمور الثـلاثة، ولا يبطل الحج والعمـرة بارتكاب شئ من المحظورات سوى الجماع.

عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ به زمن الحديبـية فقال: «قـد آذاك هوامُّ رأسك قال: نعم، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: احلق ثم اذبح شاة نسكاً، أو صم ثلاثة أيام، أو أطعم ثلاثة آصع من تمر على ستة مساكين»[٢].

---

(١) رأت عائشة رضي الله عنها جواز ارتداء التبان للمحرم تحت الإزار.
والصحيح الاكتفاء بالإزار والرداء وهذا قول جمهور العلماء.

(٢) رواه البخاري (٤٥١٧) في «تفسير البقرة»، مسلم (١٢٠١) في «الحج» واللفظ له.

أما إذا تطيب أو لبس - جاهلاً أو ناسياً - فلا كفارة عليه، رواه البخارى عن عطاء رضي الله عنه فإذا ارتدى ملابسه مثلاً قبل أن يقصر أو يحلق فى العمرة فعليه أن يعود لارتداء ملابس الإحرام ويقصر أو يحلق، ومن تطيب ناسياً غسل الطيب، ولا تلزمه الفديه.

فعن يعلى بن أمية رضي الله عنه قال : «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل بالجعرانة، وعليه جُبّة وهو مصفّر لحيته ورأسه، فقال يارسول الله، أحرمت بعمرة، وأنا كما ترى فقال: اغسل عنك الصفرة وانزع عنك الجبة، وما كنت صانعاً فى حجك فاصنع فى عُمرتك»(١).

وهذا بخلاف ما إذا قتل صيداً - ناسياً أو جاهلاً بالتحريم - فإنه يجب عليه الجزاء وليست الفدية المذكورة مبيحة للإقدام على فعل المحرم - بلا عذر - ومن فعل شيئاً مما يُحكم بتحريمه عمداً فقد أخرج حجه عن أن يكون مبروراً، ووجبت عليه الفدية مع الإثم .

---

(١) رواه البخاري (١٥٣٦) في «الحج»، مسلم (١١٨٠) في «الحج» والنسائي (٢٧١٠) ، وأبو داود (١٨١٩)

حكم من ترك واجباً من واجبات الحج

يجب على من ترك واجـباً من واجبـات الحج كرمى الجمار أو ترك الإحـرام من الميقات أو الوقـوف بعرفات بالنهـار والانصراف منهـا قـبل الغروب أو ترك المبـيت بالمزدلفـة، أو ترك طواف الوداع -أن يذبح شاة لفـقراء الحرم لا يأكل منها شيئاً[(١)].

ومن ترك أكثر من واجب من هذه الواجـبات لزمه من الشـياه بعـدد الواجـبات التى أخل بـها، وكـذلك يجب الهـدى بالجناية على الحـرم كالتـعـرض لصيـده أو قطع شجرة، أما من ارتكب مـحظوراً من محظورات الإحرام غيـر الجماع، كـالتطيب والحلق -غيـر ناس ولا جاهل- فيخير بين الذبح والإطعام والصيام على نحو ما مر بك.

---

(١) ذهب البعض إلي أن من لزمـه الذبح ولم يستطع فعليه أن يصـوم عشرة أيام، كما في حج التمتع، وهذا مرجوح وضعيف في النظر إذ لا تقاس هذه على تلك لوجـود الفرق، فمن ترك واجـباً من واجـبات الحج ولم يستطع الذبح ينتظر به إلى حال اليسار.

ولا حج لمن لم يقف بعرفة، وذهب الشافعى وأحمد وغيرهما إلى أن وقوف المغمى عليه ولم يفق حتى خرج من عرفات لا يصح لأنه ركن من أركان الحج .

وقد أفتى علىٌّ وعمر وأبو هريرة ﷺ رجلاً جامع أهله وهو مُحرِم بالحج، فقالوا : ينفذان لوجههما، حتى يقضيا حجهما، ثم عليهما حجٌ قابل، والهدى.

وقال أبو العباس الطبرى : إذا جامع المحرم قبل التحلل الأول فسد حجه، سواء أكان ذلك قبل الوقوف بعرفه أو بعده، ويجب عليه أن يمضى فى فاسده، ويجب عليه بدنه والقضاء من قابل .

فإن كانت المرأة محرمةً مطاوعة فعليها المضى فى الحج والقضاء من قابل وكذا الهدى عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى أن الواجب عليهما هدىٌ واحد وهو قول عطاء .

✪✪✪✪✪

الحاج طوع إشارة ورهين أمر

الحج بمناسكه وأركـانه وأعمـاله، كله تمرين وتدريب للطاعة المطلقة وامتـثال الأمر المجـرد، بحيث تتـحقق معانى العبودية أتم تحقيق، فالحاج يتقلب بين مكة ومنى وعـرفـات والمزدلفـة، ثم منى ومكة، ويقـيم ويرحل، ويمكث وينتـقل، ويخـيم ويقلع، إنما هو طوع إشـارة ورهين أمر، ليس له اختيار مع الله عز وجل، ينزل بمنى فلا يلبث أن يُؤمـر بالانتقـال إلى عرفات، من غـير أن يقف بالمزدلفـة، ويقف بعـرفات ويظل سـحابة النهـار مشتغلاً بالدعاء والعبادة.

وقـد تحدثه نفســه بالمكث بعد الغـروب ليـستـجم ويستـريح، فلا يُسـمح له بذلك، ويؤمر بالانتـقال إلى المزدلفـة، ويقضى حـياته مـحـافظاً على الصلوات فى وقتـها، ويُؤمر بترك صـلاة المغرب فى عرفة لأنه عـبد

لربه، ليس عـبداً لـصلاته وعـاداته، فـلا يصليهـا إلا بالمزدلفة جـمعـاً مع العشاء ويبـيت بالمزدلفة فـلا يُحيى الليل بالقيام . . .

وهكذا كانت حـياة إبراهيم عليه السلام وحياة الأنـبياء - صلوات الله وتسليماته عـليهم - نزول وارتحال، ومكث وانتقال، وعـقد وحل، ونقض وإبرام، ووصل وهجر، لا خضوع لعادة، ولا إجابة لشهوة ولا اندفاع للهوى .

✪✪✪✪✪

تجديد الصلة بإبراهيم عليه السلام
إمــام الملـة الحنيفيـة

هذه القصة التى حـدثت قبل آلاف السنين طُلب من جميع المحبين المخلصين إعـادتها إخزاءً للشيطان وتقويةً للإيمـان واقتـداءً بخليل الرحـمن، إمام الملة الحنيـفيـة إبراهيم عليه السلام ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨]، فـمن الواجب المحافظة على ما استفاض عن إمـامها كخصال الفطرة ومـناسك الحج، ولذلك وقف الـنبى صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع يقول: «قفـوا على مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث أبيكم»، وقــد بُعث رســول الله صلى الله عليه وسلم لتظهر به الملة الحنيفية وتعلوا به كلمتها.

والحج: مناسـكه، ومـا يحـيط به من ذكـريات وحوادث، وما يلتبس به الحاج من التجرد عن المظاهر، ومـا يأتى بـه من عـمل ونسك، من إحــرام ووقـوف وإفـاضة ورجـم وسعى وطواف تخـليد لما كـان عليـه

إبراهيم عليه السلام، من التوحيد والتوكل على الله عز وجل والجهاد فى سبيله وإيثار لطاعته ومرضاته، والتمرد على العادات الفاسدة والأعراف الزائفة، وقد جعل الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام الإمامة الخالدة والكلمة الباقية، وجعل فى ذريته النبوة والولاية، وكتب لأسرته ومن دخل دار الجهاد الحق، والوقوف فى وجه الباطل إلى آخر الأبد، والدعوة إلى الله عز وجل، وتجديف سفينة البشرية فى عواطف هوجاء وأمواج عاتية.

لقد قدر الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام أن يواجه أباه الذى يصنع الأصنام وأن يواجه قومه الوثنيين من عُبّاد الأصنام والكواكب، وأن ينتقل ليواجه - النمروذ - الطاغية المتجبر وأُلقى به فى النار، وأُمر بذبح ولده وبتركه هو وهاجر فاستسلم لأمر الله وكان نِعم العبد ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

ما أحوجنا لحجة حقاً تعبداً ورقاً نضبط بها الأقوال والأفعال والتصورات والمشاعر، فالحج بمثابة عرضة سنوية

للملة، لتبـقى هذه الأمـة محتفظـة بطبـيعتها، مـحفوظة بإذن الله من المؤامرت والمغالطات، بهذه الوقـفة تستعرض هذه الأمة مـجمـوعهـا فى صعـيد واحد، فـينفى بذلك علمـاؤها وزعمـاؤها - الحقيـقيـين - تحريف الغـالين، وانتحـال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وخرافة المخـرفين، ويردونهـا إلى الـديـن الخـالص ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ياله من مشهد واجتماع ندعو ربنا جل في علاه :

أن يجعله اجتماعاً مرحوماً

وأن يجعل تفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً

ولا يجعل فينا ولا بيننا ولا منا شقياً ولا محروماً

إنه سبحانه ولى ذلك والقادر عليه

تذكر... إذا خرجت للحج والعمرة

تذكر أن الحج بمثابة تحدٍ لعباد العقل والمادة، ودعوة إلى الإيمان بالغيب واتباع الأمر المجرد، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «ما آمن أحداً إيماناً أفضل من إيمان بغيب، ويتلوا قوله سبحانه وتعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١-٣].

فالعاقل هو الذى يستسلم لأمر ربه عز وجل ويخضع نفسه لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ويؤمن بالغيب كما يؤمن بعالم الشهادة، والحاج يقفز قفزة واسعة من سجن ضيق إلى عالم فسيح، وكأنه قد تحرر من كل راق وثار على كل وثن وكفر باختلاف الجنس واللون والوطن، وآمن بالله عز وجل وحده، المنعم الوهاب، وأن البشر كلهم لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربى على

أعــجــمى إلا بالتــقوى، فــالواجب على الخلق كــافــة أن يستجيبوا لأمر خالقهم، وأن يهتف للناس جميعاً :

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك

إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك

يتذكر الحاج أنه كما ترك المال والأهل والوطن وخرج فى إزار ورداء يجــيب الداعى ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾[الحج:٢٧]، فهو سيرتحل يوماً عن الدنيا، تاركاً كل شئ خلف ظهره، ليس له من الدنيا إلا كفنه، وهو بحاجة لحسنة تُثقل ميزانه، يرجع ماله وأهله ويبقى عمله، وأن الخلائق ستُـصغى السمـع للمنادى ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨]، يجتــمعون لفصل القضاء، فريـق فى الجنة وفريق فى السعير، تذكر ذلك كله، وتذكر أيضــاً أن الحج بوصفــه الدقيق المنافى للمــألوف المعروف لعُــبّــاد العقل والمادة وأُســارى النظم والترتيبــات بمثابة دعوة إلى الإيمان بــالله واليوم والآخر وإخضاع كل شئ لخالق كل شئ .

تذكر... وأنت تلبى

فى التلبية إجابة دعوة الله تعالى لخلقه حين دعاهم إلى حج بيته على لسان خليله، وفيها من كليات العقيدة الإسلامية ما يُشير إلى الحكمة من اختيارها للذكرى فى موسم الحج وأن الملبى هو المستسلم المنقاد، والمعنى : أنا مجيبك لدعوتك - يا الله - مستسلم لحكمتك، مطيعاً لأمرك، مرة بعد مرة، لا أزال على ذلك .

وفى التلبية توحيد الله تعالى ونفى الشرك عنه، وخصهُ وحده بالعبادة والتحرر من عبودية ما سواه، التحرر من عبودية المادة والطغاة والطواغيت، التحرر من عبودية الهوى والشياطين، التحرر من أسر الواقع وإلف العادة، وفى التلبية حمدا لله تعالى والاعتراف بنعمه سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾[النحل:١٨] وأفضل هذه النعمة نعمة

الإسلام، وكفى بنعمة الإسلام نعمة ،و فيها الإقرار بالملك لله عز وجل وحده، فهو خالق الخلق، ومالك الملك، المتصرف بملكه كيف يشاء .

تذكر وأنت تلبى، أن الكون من حولك يلبى، يتجاوب معك وهو يُعلن ذلك بلسان حاله وأنت تعلنه بلسان مقالك، فانصبغ بهذه الكلمات النورانية فى حياتك الخاصة والعامة، وفى سياستك واقتصادك واجتماعك وأخلاقك وحربك وسلمك ومسجدك وسوقك . . .

إنها كلمات تهبط من الملأ الأعلى لتجرد الحجيج كله من المادية وطغيانها، وغرورها واستبدادها، وتعلنها مساواة تامة وأخوة كاملة لإنسانية واحدة، لا فرق بين حدودها وألوانها أمام خالقها الواحد .

✪✪✪✪✪

تـذكـر... وأنـت تطـوف بالبيـت

تذكر أنه أول بيت وضع للناس، فأساسه موجود قبل إبراهيم عليه السلام وإبراهيم هو الذى رفع القواعـد من البيت هو وإسماعيل - عليهما السلام - وقد طاف الأنبياء - صلوات الله وتسليماته عليهم - بهـذا البـيت العتـيق معظمين لشعائر الله عز وجل، إنه البيت الذى تجرد من كل زخرف وزينة، وصار مهوى أفئدة المحبين المخلصين من كل أوب سحـيق وفج عميق، أضـافه سبـحانه إلى نفسه تعظيماً وتكريماً وتشريفاً، فأكثر من الطواف به فى حجك وعمرتك كلمـا سنحت لك الفرصة، دون إيذاء لأحد من المسلمين وخصوصاً الـضعفة منهم فهم إخوان لك، حتى وإن قصر بعضـهم فى حقك وآذاك، فاعفوا واصفح واكظم غيظك، وتلّمس لهم عذراً .

واعلم أن العرب على جاهليتها كانت تعظم البيت وقد اقتسموا الشرف فى خدمـة الحجيج، فنحن أولى بتعظيمه والسعى فى إزالة المنكرات من حوله، فعيون الخلق مسلطة على البـيت وأهله، تذكر ذلك، وتذكـر أيضاً أن الحـجر الأسود من الجنة غير أن خطـايا أهل الشرك سودته، وقد روى بن عـباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكبَّ على الركن فقال : إنى لأعلم أنك حجـر، ولو لم أر حبيبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبّلك واستلمك ما اسـتلمتك ولا قبّلتك، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فلا تقدسـوا الأحجار والأشجار ولا تصرفـوا العبادة للمقبورين، وأخلصـوا الأمر كله لرب البيت وملك يوم الدين .

✪✪✪✪✪

تذكر... وأنت تسعى بين الصفا والمروة

تذكر أن الحياة أشواط، ولا بد فيها من عمل وإيمان، فلا سعيك يمنعك من التوكل، ولا إيمانك يقعدك عن المشى فى مناكبها، فلا داعى للفصل المريب بين الدنيا والآخرة، والأرض والسماء، لقد توهم البعض أن العبادة معناها دخول الخرائب وترك تعمير الدنيا، واشتط آخرون فهجروا معانى الإيمان والدين رجاء التطور والتحضر والتقدم!! .

فليكن عملك هنا ونظرك فى السماء، وسعيك هنا وحساباتك حسابات أخروية، فنحن فى أمس الحاجة لإقامة حضارة على منهاج النبوة، يكون فيها الحركات والسكنات والأقوال والأفعال وفق ما جاء فى كتاب الله عز وجل وفى سُنَّة رسول الله ﷺ ، نرمل هنا ونمشى هناك، هنا نُحرم وهناك نتحلل، لا خضوعاً للرأى

والهـوى ولكن استـجابة لأمـر الله سبـحانه وتعـالى، فالـقلب ينطق قبل الجـوارح أن : لبيك إله الحق، لـقد سـعت هاجر - عليـها السـلام - بين الصفـا والمروة، وصار السـعى بالنسبة لنا عـبادة وقربة للرجـال والنساء والكبار والصغار .

نتذكـر هذه المعانى التـى تبعث حرارة الإيـمان وبَرَد اليقـين فى نفوس أوشـكت المادية بطغيـانها وبدرهمـها ودينارها، أن تطمس فـيـها مـعـالم الإخبـات والإنابة والتعلق بخالق الأرض والسـماوات الذى يجيب المضطر ويكشف الضر ولا يُضيَع أهل- سبحانه وتعالى- .

ثم اعلم وأنت تسعى أن من الخلق من قـضى شوطاً من حـياته أو أكـثـر ومنهم من قـارب على الانتهـاء، والراحة إنما تكون عند أول قدم تضـعها فى الجنة، وأن السعى والتـعب عما قـريب سينتـهى، فاصبـر فإن كل ماهو آت فـهو قـريب، والبعـيد ما ليـس بآتٍ، وتذكر بتحللك من مضى بإحسان وكـيف كانوا يصومون النهار

ويقومــون الليل، فإذا ماتوا أقــبل عيــد فطرهم، وكانوا يقــولون : طلب الراحــة للــرجــال غـفلة، والناس فى غفلاتهم ورحى المنية تطحن.

اللهم اجعل خير أعــمالنا خواتيمها، وخــير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقــاك واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير، والموت راحة لنا من كل شر .

✪✪✪✪✪

تذكر... وأنت تشرب من ماء زمزم

ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم وهو لما شُرب له، وهو بالإضـافة لذلك آية بينة دالـة على عظيم قدرة الله تعـالى، ففى هذه الأرض الجرداء ينبع هذا الماء بخصـائصه المتميزة، يشرب مـنه ويتوضأ به مـلايين البشـر عبـر العصـور وكر الدهور، مـعين لا ينضب، فـأى نبع هذا يحتـمل كل هذا الاستهلاك والناس لحرصهم علـى الخير لا يكتفون بالشرب والوضـوء منه، بل يحـملون إلـى أهليـهم وإخـوانهم هنا وهناك، «وقد طلب النبى ﷺ شيئاً من ماء زمزم فأرسل له سهيل بن عمـرو مزادتين، وكان النبى ﷺ بالمدينة »، فهذا الماء لا يفقـد مزيته بنقله، ولا تنسى وأنت تشرب من هذا الماء المبارك أن تدعـو لنفسك ولعموم المسلمـين بخيرى الدنيا والآخرة، عـساه سبحـانه يفرج الكرب عن المكروبين ويقـضى حوائج المحـتـاجين ويفـك أسر المأسـورين ويرد الأقصى والمقدسات إلى حوزة الإسلام والمسلمين .

تذكر... وأنت تقف بعرفات

ما من يوم أفضل من عند الله عز وجل من يوم عرفة، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيباهى أهل الأرض أهل السماء فيقول : «انظروا إلى عبادى، جاءونى شعثاً غبراً ضاحين، جاءوا من كل فج عميق، يرجون رحمتى ولم يروا عذابى، فلم يُر يوم أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة»(١).

واعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين فى زمان، يذكر حال المنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ومكان فيه آيات بينات قد قصده جماعات من أئمة الدين، معظمين لشعائر الله، متضرعين راغبين وراجين من الله الخير، وتكفير الخطايا، فإن الهمم إذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها

---

(١) رواه مسلم (١٣٤٨) في «الحج».

نزول الرحمة والمغفـرة، ولذلك ما رؤى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحـر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة، وماذاك إلا لما رأى من تنزل الرحـمة، وتجاوز الله عـز وجل عن الذنوب العظام، إلا ما رأى من يوم بدر .

فانتهز فرصة وجودك بـعرفات وأكثر من ذكر الله عز وجل والدعاء، عـساك ترجع وقـد غُفر ذنبك وعُـتقت رقبتك .

وقـد ورد فى الخبـر : «أن خيـر الدعاء، دعـاء يوم عرفة، وخير ما قـلـت أنا والنبييون من قبلى لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شئ قدير»[1] .

✪✪✪✪✪

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٨٥) وقال: هذا حديث غـريب من هذا الوجه وحماد ابن أبي حميـد هو محمد ابن أبي حميـد وهو أبو ابراهيم الأنصاري المديني وليس هو بالقوى عند أهل الحديث.

تذكر... وأنت ترمى الجمار

وظَّف سبحانه وتعالى على عباده فى الحج أعمالاً تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول، كرمى الجمار بالأحجار، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية، فلا يكون فى الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث أنه أمر واجب الإتباع فقط، فإذا خطر لك الشيطان بخاطر أو عرض لك بوسوسة فاعلم أنه ليس لك منك إلا الرجم والهوان، وأن الصراع مع هذا اللعين بدأ ولم ينته، وهو يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، ويريد أن يأخذ حظاً ونصيباً منك، فاحذره على نفسك، واعتصم بجناب الله عز وجل ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وأكثر من ذكر الله والتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، حتى تكون من عباد الله المخلصين الذين لاحظ للشيطان فى نفوسهم، ولا حجة له فى إغوائهم ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

تـذكـر... وأنـت تـذبـح

لعن الله من ذبح لغـير الله، فالذبح عـبادة ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

{الأنعام: ١٦٢-١٦٣}.

فالذبح قُربة إلى الله تعالى، وأنت تذبح هديك ارجُ أن يعتق الله بكل جزء منه جـزءاً منك من النار، فهكذا ورد الوعد، فكلما كان الهدى أكـبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم، وقـــد أهدى رسـول الله ﷺ مـائة من الإبل، وكان هديه تـطوعاً، وقال عـمر رضي الله عنه: «اهدوا، فإن الله يحب الهدى، قال تعالى: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾{الحج: ٣٦--٣٧}.

أحسن اختيار الهدى، واسلخه وقطعه وقم على توزيعه ستجد الناس يتهافتون عليه بإذن الله عز وجل ، أما لو كان هزيلاً وذبحته وتركته فى الشمس فقد تعافه النفوس، وينصرف الناس عن الانتفاع به بسبب انشغالهم بتأدية المناسك، وكما تذبح هديك تذكر أنك تحتاج إلى ذبح هواك، فاستقم على شرع الله فإن الاستقامة هى أعظم كرامة .

✪✪✪✪✪

الحج من أعظم دروس الوحدة والاتحاد

الإســلام دين التــوحــيــد والــوحــدة، دين لا يؤمن بالوســاطة بين العبــد وربه، إلا واسطة تبليغ الرســالة، فمن الله الرسالة وعلى الرســول البلاغ وعلينا التسليم، والعباد إذا وحدوا ربهم وأخلصوا العــبودية له سبحانه، وكان منهم الإذعــان والتسليم لشرعه، تكتــمل وحدتهم وتجتــمع كلمتــهم، ويكونون يداً واحدةً عــلى عدو الله وعدوهم، وهذه المـعانى تتجلى بكــل وضوح فى الحج فــالكل يلبى بنداء التــوحيــد، ويتــوجه إلــى الكعبــة، ويسجد لرب واحد، ويتحركون حركة واحدة، وقد كان بعض العــرب يقــفــون بمزدلفــة - لأنهــا من الحــرم - ويســتنكفون عن الوقــوف بعــرفات - لأنهــا من الحلِّ- فأمرهم سبحانه أن يقفوا حيث وقف الناس ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا﴾ [البقرة: ١٩٩].

والوحدة الحقيقية تتطلب وحدة المنهج، والعمل بطاعة الله والحذر من البدع والمعاصى والذنوب، وإعذار العباد فيما عذرهم فيه ربهم، والدعاء . . .

وهى معانٍ يحرص عليها كل حاج، وأن يبدأ بنفسه فيها، فالكل يستحضر قول رسول الله ﷺ : «خذوا عنى مناسكم فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد عامى هذا» [(١)].

وكل حاج يحرص على طاعة الله عز وجل فى هذه الحجة التى قد لا تتكرر ويُعظم شعائر الله وحرماته سبحانه ويحذر من خدش حجته، أو أن يكون عوناً للشيطان على نفوس إخوانه، يبذل لهم نداه ويكف عنهم أذاه، ويدعو ربه أن يؤلف بين قلوب المسلمين، وأن يوحد صفوفهم وأن يجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم، بل الحاج يستشعر الانسجام مع الكون عندما يطيع الله عز وجل، ويُلبى، فيلبى الكون من حوله

---

(١) رواه مسلم (١٢٩٧) في «الحج».

ويتـحسس الارتبـاط الوثيق بين ظاهره وباطنه، فلا نـفرة بين السـر والعلانيـة، بل هو بكُليـته يرجـو رحمـة ربه ويخشى عذابه، إلى غير ذلك من المـعانى التى تتحقق بها الوحدة أتم تحقيق.

وقد أذن سـبحـانه فِي شهـود منافع الحج فقـال عز وجل : ﴿لِيـشْـهـدُوا منافِع لهُم﴾ [الحج:٢٨]، وهذه لا تقتصر على التجارة والكسب فى الحج، بل هى أعظم من ذلك بكثـيـر، منافع سـيـاسيـة[(١)]، واقـتصـادية واجتماعية وأخلاقية تربوية، وكلها من شأنها أن تُوحد بين صـفـوف المسلمـين، وتُحـيل لو اجتـمع حكام المسلمين فى موسم الحج للتشـاور فيما بينهم وللعمل على تطبيق شـريعة ربهم، ولتـدارك أسباب القـصور والفشل التى حلَّت بساحتهم .

---

(١) الحج ليس مـجالاً للمظاهـرات الغوغـائية، ولا لحـركات الشـغب ولا لزعـزعة الأمن، فـفي الحديث: «أبغض الناس إلى الله ثلاثـة . . وذكر منهم . . . ملحد في الحرم» رواه البخاري.

إن اجتماعاً مرحوماً فى هذا الزمن الشريف، وهذه البقاع المباركة سيعود عليهم وعلى شعوبهم وعلى المسلمين فى شتى بقاع الأرض بالخير والبركات، نسأل الله تعالى أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته ويؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، اللهم ولّ علينا خيارنا واكفنا شر أشرارنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك وحاذر سخطك واتبع رضاك برحمتك يا أرحم الراحمين .

✪✪✪✪✪

تذكر حالة سلفك الصالح في الحج

جمع سلفنا الصالح بين العلم النافع والعمل الصالح، وكانوا مع شدة اجتهادهم فى طاعة الله عز وجل يحذرون سخطه وأليم عقابه، فجمـعوا بذلك بين الرغبة والرهبة، والخـوف والرجاء، وكـان لربما وقف بعـضـهم بعرفـات فيخاف عدم تنزل الرحمة على أهل الموقف بسبب وجوده معهم، وكانوا يشترطون خدمة إخوانهم بالمعروف وينهون عن المنكر ولا تأخذهم فى الله لومة لائم .

رأى أحدهم هارون الرشـيد وهو يطوف بالكعـبة - وكان رحمه الله يحج عاماً ويغزو عاماً - فقال لهارون: انظروا لهذا الجـمع، كل واحد يُسأل عن نفـسه، وأنت تُسأل عن هؤلاء جميعاً، فبكى - رحمه الله - .

وكـانوا يعظمون حـرمـات الله عز وجل وينشـغلون بذكـره سبـحانه، والتـفكر فى أمره جل وعـلا، فكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطوف بالكعبة وهو يبكى ويقول : «اللهم إن

كنت كتبتنى شقياً فامحه واكتبنى فى أم الكتاب سعيداً ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد: ٢٩].

ركبوا مراكب الآخرة فكانوا ﴿قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[الذاريات: ١٦-١٧]؛ وكانوا يخافون ملامة النفس، ويحذرون التفريط والتقصير، فقد مروا على الآيات فأقضت مضاجعهم ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[الزمر: ٤٧]، فأظمأوا نهارهم وأسمروا ليلهم، وقاموا يناجون ربهم فى فكاك رقابهم .

كان معاذ بن جبل رضي الله عنه إذا جنه الليل يقوم ويقول :

« اللهم قد نامت العيون وهدأت الجفون وغارت النجوم، وأنت حىٌ قيوم، اللهم هب لى هدى ترده إلىَّ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ؛ وفى ليلة موته رضي الله عنه جعل يقول : هل أصبحنا ؟، حتى جاءوه فقالوا له : قد أصبحنا فقال : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، اللهم إنك كنت تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا لكرى الأنهار ولزراعة الأشجار ولكن لظمأ الهواجر وقيام ساعات الشتاء الطويلة ومزاحمة العلماء وحِلق الذكر» .

فاحرص على طاعة الله وتذكر من مضى بإحسان فـ:

كل خير في اتبـاع من سلـف

وكل شر فى ابتداع من خلف

وما لم يكن يومئذ ديناً فليس اليوم ديناً، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

فاستقم على شرع الله عز وجل، وأحسن التأسى، وابذل نداك وكف أذاك عن الحجيج .

يُحكى أن ابن المبارك -رحمه الله- كان إخوانه يأتونه يسألونه الصحبة فى الحج، فكان يجمع منهم نفقاتهم ويضعها فى صندوق، ويقدم بهم على «مرو» فيلبسهم أحسن الثياب ويطعمهم أفضل الطعام ثم يدخل بهم بغداد فيصنع نفس الصنيع، حتى يصلوا المدينة فيسألهم واحداً واحداً عما طلبه أولاده من طُرف المدينة ويأتيهم بما طلبوه، ثم يذهبون إلى مكة ويؤدون المناسك، ثم يرجع بهم ويعمل لهم وليمة بعد ثلاث، ثم يفتح الصندوق ويعطى كل واحد نفقته التى دفعها .

احذر وحذر الآخرين

(١) احذر دعاء غير الله والاستغاثة بالمقبورين، والتمسح بكسوة الكعبة وجدرانها وحِلق الأبواب، فلا يجوز التبرك بالحجر أو الشجر .

(٢) احذر وحذّر الآخرين من التقاط التصاوير وسط الحمام هناك، فقد لعن الله المصورين، والملائكة لا تدخل بيتاً فيه تصاوير، والتصوير حرام إلا لمصلحة راجحة والحرمة أشد فى هذه البقاع المباركة .

(٣) احذر التوكيل فى الرمى وغيره من غير ضرورة، ومن الغلط اعتقاد أن مكان رمى الجمرات فيه الشيطان، لأن هذه الأمكنة الثلاثة مواضع عرض فيها الشيطان على نبينا إبراهيم عليه السلام فيما ذُكر .

(٤) احــذر الخروج من عــرفــة قبــل غروب الشــمس، والخروج من مزدلفة قبل منتصف الليل، واعلم أن السُّنة الفطر فى يوم عــرفة لمن كان واقــفاً بعــرفة، فــالنبى ﷺ لم يصم يوم عــرفة بعــرفة فــيكون استحباب صيام هذا اليوم لمن لم يكن بعرفات .

(٥) الحــذر من عــدم التــحجب عــن الرجال غــيــر المحارم، ولبس النســاء الثياب التى فــيها تشــبه بالرجال، وكــذلك اعتقاد أن لبس البــياض فى الإحرام أفضل للنساء وذلك من أغلاط العوام.

(٦) الحـــذر من زيارة بعض الآثــار التى لم تشـــرع زيارتهــا على سبــيل التــعبــد مــثل غار حــراء وغيــره، وذلك كله من جملة البدع المستحدثة، وقال عــمر رضي الله عنه : «إنما هلك من كــان قبلكم بمثل هذا يتبعون آثار أنبيائهم . . . »(١)

---

(١) الأثر رواه سعيد بن منصور وغيره .

(٧) احذر التساهل بالمبيت بمزدلفة ومنى، والسهر طويلاً بمزدلفة ومنى من غير حاجة ولا تنشغل بالتقاط الجمرات من مزدلفة من حين دخولها، ويسعك التقاطها صبيحة يوم النحر أو من الطريق .

(٨) لا ترمى الجمرات قبل الوقت، ولا يقلدن أحدكم دينه رجلاً، ووقت الرمى يوم النحر كله ونصف ليلته لمن دفع من مزدلفة آخر الليل، وأيام منى بعد زوال الشمس، كما ثبت فى البخارى عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «كنا نتحين، فإذا زالت الشمس رمينا»[١]؛ ومن الغلط غسل الجمرات قبل الرمى.

(٩) لا يجوز استعمال المعازف والملاهى فى الحج وغيره وكذلك مشاهدة الأفلام وسماع الأغانى وسائر مظاهر الفحش والتفحش .

(١٠) من البدع المحدثة المشى إلى الخلف بعد طواف الوداع، فهذا لم يفعله رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام .

---

(١) رواه البخاري (١٧٤٦) في «الحج».

زيارة المدينة ومسجد الرسول ﷺ

تُسن زيارة مسجـد النبى ﷺ قبل الحج أو بعده لما ثبت فى الصـحيحـين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : «صـلاة فى مسجدى هذا خـيرٌ من ألف صلاة فيما سـواه إلا المسجد الحرام»(١)؛ وعن ابن عمـر أن النبى ﷺ قال : «صـلاة فى مسـجدى هذا أفضل من ألف صلاة فـيما سواه إلا المسـجد الحرام»(٢) رواه مسلم، والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة .

(١) ماذا يفعل من دخل مسجد رسول الله ﷺ ؟

إذا وصل الزائر إلى المسجد اُستحب له أن يقدم رجله اليمنى عند دخول ويقـول: «بسم الله والصلاة والسلام على رسـول الله، أعـوذ بالله العظيم وبوجـهـه الكريم

---

(١) رواه البخاري (١١٩٠) في «فضل الصلاة». ومسلم (١٣٩٤) في «الحج».
(٢) رواه مسلم (١٣٩٤) في «الحج».

وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، اللهم افتح لى أبواب رحمتك» ؛ كما يقول ذلك عند دخول سائر المساجد، وليس لدخول مسجده ﷺ ذكر مخصوص، ثم يصلى ركعتين فيدعو الله فيهما بما أحب من خير الدنيا والآخرة، وإن صلاهما فى الروضة الشريفة فهو أفضل لقوله ﷺ : «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة»(١).

ثم بعد الصلاة يزور قبر النبى ﷺ وقبر صاحبيه أبى بكر وعمر رضي الله عنهما فيقف تجاه قبر النبى ﷺ بأدب وخفض صوت ثم يسلم عليه ﷺ قائلاً: «السلام عليك يارسول الله، ورحمة الله وبركاته»، لما فى سنن أبى داود بإسناد حسن عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من أحد يُسّلم علىّ إلا رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه السلام»(٢).

---

(١) رواه البخاري (١١٩٥) في «فضل الصلاة» ومسلم (١٣٩٠) في «الحج».
(٢) رواه أبو داود (٢٠٤١) وأحمد (١٠٤٣٤) .

وإن قـال الزائـر فى سلامـه : «السلام عليكم يا نبى الله، السـلام عليكم يا خـيرة الله من خـلقه، السـلام عليك ياسيـد المرسلين وإمام المتقين، أشـهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت فى الله حق جــهــاده»، فـــلا بأس بذلك لأن هذا كـله من أوصافـه ﷺ، ويصلى عليـه، عليه الصـلاة والسلام ويدعوا له، ثم يسلم على أبى بكر وعمر رضي الله عنهما .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا سلم على الرسول ﷺ وصاحبيه لا يزيد غالبـاً على قوله: «السلام عليكم يارسـول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه» ثم ينصرف.

وقد اختلف العلماء فى زيارة المرأة للمـقابر، والأكثر على الجواز، ولكن لا بـد من التأدب بالآداب الشرعـية وعـدم الإكـثـار من الزيارة، فـقـد عـلّم النبى ﷺ عائشـة رضي الله عنها ما تقـوله، إن هى وردت البقـيع . . . إلى غير ذلك من الاستدلالات، وكقوله ﷺ للمرأة التى رآها تبكى عند قبر ابنها : «اتقى الله واصبرى» .

(٢) شد الرحال للمسجد ، وزيارة القبر تبعاً له :

شاع على ألسنة البعض أنه ذاهب لزيارة النبى ﷺ ، ولا يُشرع شد الرحال إلا لثلاثة مساجد كما ورد فى الحديث الصحيح، فمن قصد المدينة للصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ والدعاء فيه ونحو ذلك مما يشرع فى سائر المساجد فهو مشروع فى حق الجميع وزيارة قبره ﷺ تأتى تبعاً لزيارة المسجد .

ويُسن للزائر أن يصلى الصلوات الخمس فى مسجد الرسول ﷺ وأن يُكثر فيه من الذكر والدعاء وصلاة النافلة، اغتناماً لما فى ذلك من الأجر الجزيل .

ويُستحب أن يكثر من صلاة النافلة فى الروضة الشريفة، أما صلاة الفريضة فينبغى للزائر وغيره أن يتقدم إليها ويحافظ على الصف الأول مهما استطاع، وإن كان فى الزيادة القبلية، وذلك لقول النبى ﷺ : «لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا»[١] .

---

(١) رواه البخاري (٢٦٨٩) في «الشهادات»، (٦١٥) في «الآذان» ومسلم (٤٣٧) في «الصلاة»

وكــان ﷺ يحث أصحــابه على ميــامن الصفــوف فــالمحافظــة على الصف الأول ويمــين الصف أولى من المحافظة على الصلاة فى الروضة الشريفة.

(٣) لا يجوز الغلو في شخصه ﷺ ولا عند قبره:

لا يجوز لأحد التمسح بالحــجرة النبوية أو يقبلها أو يطوف بها لأن ذلك لم يُنقل عن السلف الصالح بل هو بدعة منكرة ؛ وفى الحديث : «اللهم لا تجعل قبرى وثناً يُعبد» ؛ وقد وضع البعض كلمة قبرى بدل بيتى، وهذا كــذب والصحــيح : «ما بين بيــتى ومنبرى روضــة من رياض الجنة»[١].

ولا يجوز لأحد أن يسأل الرســول ﷺ قضاء حاجة وتفريج كربة أو شفاء مريض أو نحو ذلك، لأن ذلك كله لا يُطلب إلا من الله سبحانــه، وطلبه من الأموات شرك بالله وعبادة لغيره ؛ ودين الإسلام مبنى على أصلين :

---

(١) رواه البخاري (١١٩٥) في «فضل الصلاة»، مسلم (١٣٩٠) في «الحج» ، ومالك في الموطأ (٤٦٢) والترمذي (٣٩١٥) .

أحدهما: ألا يُعبد إلا الله وحده .

والثانى: ألا يُعبد إلا بما شرعه الرسول ﷺ .

وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وهكذا لا يجوز لأحد أن يطلب من الرسول ﷺ الشفاعة لأنها ملك الله سبحانه، فلا تُطلب إلا منه سبحانه وتعالى كما قال تعالى : ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]

فتقول : اللهم شفع فى نبيك... وأما الأموات فلا يُطلب منهم شئ لا الشفاعة ولا غيرها.

(٤) التأدب مع رسول الله ﷺ حياً وميتاً :

ما يفعله بعض الزوار من رفع الصوت عند قبره ﷺ ، وطول القيام هناك فهو خلاف المشروع لأن الله سبحانه نهى الأمة عن رفع أصواتهم فوق صوت النبى ﷺ وعن الجهر له بالقول كجهر بعضهم لبعض، وحثهم على غض الصوت عنده ﷺ فى

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٢-٣].

- فلا بد من الحذر من كثرة الضجيج وارتفاع الأصوات، ومخالفة الأدب الشرعى عند قبره ﷺ ومن جملة المخالفات .

- استقبال قبره ﷺ بالدعاء فمن أراد أن يدعو فعليه أن يستقبل القبلة لا القبر .

- وكذلك ما يفعله بعض الزوار عند السلام عليه ﷺ ، ومن وضع يمينه على شماله فوق صدره أو تحته كهيئة المصلى فهذه الهيئة لا تجوز عند السلام عليه ﷺ ولا عند السلام على غيره من الملوك والزعماء .

(٥) خطأ اعتقاد العامة أن الحج لا يتم إلا بزيارة قبر الرسول ﷺ :

ليست زيارة قبر النبى ﷺ واجبة ولا شرطاً فى الحج، بل هى مستحبة فى حق من زار مسجد الرسول ﷺ أو كان قريباً منه، وهذا بإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين كالأئمة الأربعة وغيرهم، والأحاديث الواردة فى زيارة القبر النبوى بعد الحج لا يصح منها شئ .

وقد ثبت فى الصحيحين:

«لا تُشد الرحال إلى إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى»[(١)]

فزيارة المدينة مستحبة إما قبل الحج أو بعده، وشد الرحال لمسجده الشريف مشروع، أما زيارة القبر فهى تبع لزيارة المسجد، وليست ركناً من أركان الحج ولا من واجباته وسننه .

---

(١) رواه البخاري (١١٨٩) في «فضل الصلاة»، مسلم (١٣٩٧) في «الحج».

(٦) أحاديث موضوعة نبه عليها العلماء :

احتج البـعض بشرعيـة شد الرحال إلى قـبره ﷺ بعدة أحاديث ضعيفة بل موضوعة مثل:

(أ) من حج ولم يزرنى فقد جفانى .

(ب) من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى .

(جـ) من زارنى وزار أبـى ابراهيم فى عـام واحـد ضمنت له على الله الجنة .

(د) من زار قبرى وجبت له شفاعتى .

(هـ) لو اعتقد أحدكم فى حجر لنفعه .

(و) إذا ضـاقت بكم الصـدور «الأمـور» فـعليكم بأصحاب القبور .

وهذه الأحاديث مكذوبة وموضوعـة كما جزم بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد نبه جميع العلماء كالحافظ ابن حجر والحافظ العقـيلى والبيهقى والدارقطنى، على عدم صحتها وبالتالى فلا يجوز العمل بمقتضاها .

(٧) استحباب زيارة مسجد قباء :

ورد فى الصحيحين من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : «كان النبى ﷺ يزور مسجد قباء راكباً وماشياً ويصلى فيه ركعتين» .

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قُباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عُمرة»[1] .

(٨) زيارة البقيع :

كما يُسن لزائر المدينة زيارة أهل البقيع لأن النبى ﷺ كان يزورهم، ويدعو لهم، ولقوله ﷺ : «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»[2] .

وكان النبى ﷺ يُعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا : «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين

---

(١) رواه البخاري (١١٩١) في «فضل الصلاة» ورواه مسلم (١٣٩٩) في «الحج».

(٢) رواه مسلم (٩٧٦) في «الجنائز».

والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحـقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[١].

وعن ابن عـباس رضي الله عنهما قال: «مـر النبى ﷺ بقـبور فأقبل عليهم بوجهه فقال : السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكن، أنتم سلفنا ونحن بالأثر »[٢].

ولا يجـوز زيارة القبـور لقـصد الدعـاء أو العكوف عندها أو سـؤال المقبـورين قضـاء الحاجـات أو شفـاء المرضى أو سؤال الله بهم أو بجاههم ونحو ذلك، فهذه زيارة بدعيـة منكرة لم يشرعهـا الله ولا رسوله ﷺ ، ولا فعلها الـسلف الصالح رضى الله عنهم، بل هى من الهـجـر الذى نهى عنه الرسـول ﷺ حـيث قـال : «زوروا القبور ولا تقولوا هُجْراً» .

(١) رواه مسلم (٩٧٥) في «الجنائز».
(٢) رواه الترمذي (١٠٥٣) .

(٩) زيارة شهداء أحد :

ويدل على ذلك النصوص العامة فى استحباب زيارة المقابر - والتى ذكرنا بعضها - وقد كان رسول الله ﷺ يزور شهداء أُحد ويُسلم عليهم ويدعو لهم، وعلى الزائر أن يتذكر جهاد هؤلاء الأفاضل وتضحيتهم فى سبيل إعزاز هذا الدين، كما يتذكر هجرتهم وحرصهم على طاعة الله عز وجل والاستنان بسنة رسول الله ﷺ ، ومحبتهم الصادقة لله ورسوله، ونحن نتقرب لله بحبهم ونترضى عنهم ونترحم عليهم اعترافاً بفضلهم، فهم الذين نقلوا لنا الدين كاملاً غير منقوص، وبذلوا فى سبيل ذلك الغالى والرخيص والنفس والنفيس، حتى تكاد ذرات الأرض تنطق بما عملوه على ظهرها من خير وبر، فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

وقد سبق أن ذكرنا عدم جواز زيارة الآثار التى لم تشرع زيارتها على سبيل التعبد، فإن ذلك من جملة البدع المحدثة، كما ذكرنا قول عمر رضي الله عنه : «إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا يتبعون آثار أنبيائهم . . .» .

فضل المدينة والموت فيها

روى البــخــارى عــن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رســول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «إن الإيمان ليأرز -أى ينضم ويتجمع- إلى المدينة كما تأرزُ الحية إلى جحرها»(١).

وهى حَـرَم ما بين عـير إلى ثور فى حـرمهـا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كـما حـرم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مكة، وقد ورد أنه بارك على صاعها ومُدها .

وقد روى البـخارى عن زيد بن أسلم عـن أبيه : أن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال : «اللهم ارزقنى شـهادة فى سـبـيلك واجعل موتى فى بلد حرم رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »(٢).

---

(١) رواه البخاري (١٨٧٦) في «فضـائل المدينة»، ومسلم (١٤٧) في «كتاب الإيمان» وابن ماجه (٣١١١).

(٢) رواه البخاري (١٨٩٠) في «فضائل المدينة».

أدعية الحج والعمرة

الدعاء هو العبادة، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فاحرص على اغتنام الأنفاس واللحظات فى طاعة الله، ولا تُضيع وقتك فيما لا يضر ولا ينفع.

واعلم أن أفضل الكلام كلام الله عز وجل، ثم يتلوه كلمات أربع : «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وهى من القرآن ثم بقية الأذكار ويتلو ذلك الدعاء بالوارد المسنون ثم الدعاء بمعناه، ومن الملاحظ أن الحجاج يتداولون بعض الرسائل والأحزاب التى فيها إضافة بعض الأدعية لكل منسك من مناسك الحج وكذلك يفعلون فى زيارة شهداء أُحد بالمدينة، مما لا أصل له فى السنة .

وإليك بعض أدعية الكتاب والسنة فأعظِم الانتفاع بها :

من أدعية القرآن الكريم

(١) ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

(٢) ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

(٣) ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.

(٤) ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

(٥) رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء، ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب .

(٦)ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .

(٧) ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين آمنوا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم .

(٨) ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شئ قدير .

(٩) ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

(١٠) ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ربنا إنك من تُدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار، ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تُخزنا يوم القيامة إنك لا تُخلف الميعاد .

(١١) رب أعوذ بك من همـزات الشيـاطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون .

(١٢) على الله توكلـنا ربنا لا تجـعلنا فـتـنة للقـوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين .

(١٣) الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

(١٤) رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم ولاَ تُخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم .

(١٥) رب أوزعنى أن أشكر نعـمـتـك التى أنعـمت على وعلى والدى وأن أعـمل صـالحاً ترضـاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين .

(١٦) رب قــد آتينى من الملك وعـلمـتنـى من تأويل الأحاديث فاطِر السماوات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين .

(١٧) رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى .

(١٨) ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

(١٩) ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً .

(٢٠) ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون .

(٢١) رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ وعلى والدى، وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تُبت إليك وإنى من المسلمين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد رب العالمين

من الدعاء المأثور عن النبى ﷺ

(١) اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر .

(٢) اللهم اغفر لى خطأى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى، اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى، اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى، أنت المقدم والمؤخر وأنت على كل شئ قدير .

(٣) اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

(٤) اللهم إنى أعوذ بك من الجبن والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها،

اللهم إن أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يُستجاب لها، اللهم إنى أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر .

(٥) اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كبيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم .

(٦) اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك، واغننى بفضلك عمن سواك .

(٧) يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك .

(٨) اللهم إنى أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذى يبلغنى حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلىّ من نفسى وأهلى ومن الماء البارد .

(٩) اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة والنجاة من النار .

(١٠) اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون علينا به مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تُسلط علينا من لا يرحمنا.

(١١) رب أعنى ولا تُعن علىّ، وانصرنى ولا تنصر علىّ، وامكر لى ولا تمكر علىّ، ويسر هداى وانصرنى على من بغى علىّ .

(١٢) رب اجعلنى لك شاكراً، لك ذاكراً، لك زاهداً، لك مطواعاً، إليك مجيباً أو منيباً، تقبل توبتى، واغسل حوبتى، وأجب دعوتى، وثبت حجتى، واهد قلبى وسدد لسانى، واسلل سخيمة قلبى .

(١٣) اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأرذل العمر.

(١٤) اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ، وأنت المستعان وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

✪✪✪✪✪

الخاتمة

قام الصحابة رضى الله عنهم بدين الله عز وجل علماً وعملاً، واستقاموا عليه توحيداً واتباعاً و تزكية، فغير بهم سبحانه وجه الأرض ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]؛ ودانت لهم الدنيا شرقاً وغرباً ودخل الناس فى دين الله أفواجاً، ثم ما لبث أن عاد الأمر غريباً كما بدأ غريباً، فقد ورَثَ الكتاب قوم يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيُغفر لنا، ضعُفت همتهم، وتبدلت مفاهيم الإسلام فى نفوسهم، وانفصل العلم عن العمل فى حياتهم، وصار الإسلام فى وادٍ وهم فى وادٍ آخر، وفقدت المعانى الإيمانية رصيدها، ومن جملة ذلك الحج .

وقف وزير الخارجية - غلادستون - يوماً فى مجلس العموم البريطانى فقال : «إن العقبة الكئود أمام استقرارنا بمستعمراتنا فى بلاد الإسلام هذا الكتاب وهذا البيت»

وأمسك بيده المصحف وأشار بالأخرى إلى الكعبة .

لقد انتبه الأعداء لخطورة بيت الله الحرام، وشعروا أن الحج بمثابة اجتماع سنوى يستحيل معه أن تقوم لهم قائمة فالبيت يؤمه ملايين البشر من كل أوب سحيق وفج عميق، ولذلك أعْمَلوا معاول الهدم والتخريب فى جسد هذه الأمة، وحرصوا على تفريغ الحج من محتواه، بحيث صار اجتماعاً يقوم ثم ينفض دون تحقيق لكثير من المنافع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية التى كان يمكن تحصيلها من ورائه، ودون تعارض مع تأدية العبادات على وجهها، بل معانى التشرذم والفرقة والضياع تدب فى أوصال هذه الأمة، رغم اجتماعها المشهود فى موسم الحج !! ولعل من أعظم أسباب ذلك موالاة أعداء الإسلام، والجهل بدين الإسلام وهجران اللغة العربية .

وقد آن لهذه الأمة أن تستيقظ من نومها، وأن تنتبه لمخططات أعدائها، وأن تعاود الالتزام بشريعة ربها ﴿ وَإِن

تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]

فالحج لو أحسن المسلمون الانتفاع به، واستفادوا دروسه، لتغير حالهم، وغير بهم سبحانه وجه الأرض، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وأبدلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونه سبحانه لا يشركون به شيئاً .

ولذلك كانت هذه الرسالة بمثابة صرخة نذير وصيحة تحذير، وتوضيح لمعانى . . .ولذا سميتها:

الإنارة فى الحج والعمرة والزيارة.

ولا يسعنى إلا أن أردد كلام الإمام السفارينى - رحمه الله -حينما يقول فى أثناء «مقدمة شرح ثلاثيات أحمد» :

(وأنا متردد بين الإقدام والإحجام لقصور شأوى عن إدراك مثل هذا المقام، ثم قلت : قُصارى أمرى أن أُعلق فوائد من الكتب المتداولة، وليس لى من ذلك إلا أجر المناولة، فاستخرت الله عز وجل وعزمت على شرحها، ووقفت على أبواب كرمه تعالى، فمن سبحانه بفتحها، هذا مع فقدى جُلّ المواد وتعذّر وجود الخِل الموادّ،

واشتغال البال بالبلابل والهموم، وتشويش الخاطر بالقلاقل والغموم . . .» .

والله نسأل أن يتقبل منا ومنكم صالح العمل، وأن يغفر لنا ولكم ما بدر من الخطايا والزلل، وأن يُدخلنا بمنه وكرمه ولطفه فى عباده الصالحين، إنه سبحانه ولى ذلك والقادر عليه .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

سعيد عبد العظيم

الفهرس

أدعية الحج والعمرة

* إذا أراد الإحرام، نوىٰ بقلبه العمرة أو الحج، فإذا استوىٰ علىٰ الدابة استقبل القبلة وحمد اللَّه، وسبَّح، وكبَّر، ثم يقول: لبيك اللَّهمَّ بعمرة (إن كان متمتعًا أو معتمرًا).

ويقول: لبيك اللَّهم بحَجَّة وعُمرةٍ (إن كان قارنًا قد ساق الهديَ).

ويقول: لبيك اللَّهمَّ بحجة (إن كان مفردًا).

* وله أن يشترط خوفًا من العارض، فيقول: لبيك اللَّهمَّ لبيك، ومَحلِّي من الأرض حيث تحبسني.

* ويقول: «اللَّهمَّ هذه حجةٌ - أو عمرة - لا رياءَ فيها ولا سُمعة».

* ثم يُلبي بتلبية النبي ﷺ، فيقول رافعًا صوتَهُ:

«لبيك اللَّهمَّ لبيك، لبيك لا شريكَ لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك والمُلك، لا شريك لك».

* ويمكن أن يَزيد: لبيك إلَهَ الحقِّ لبيك.

* أو: لبيك ذا المعارج، لبيك ذا الفواضل.

※ أو: لبيك اللَّهم لبيك، لبيك وسعديك، والخيرُ في يديك لبيك، والرغباءُ إليك والعمل.

※ ويلزم التلبية لأنها من شعائر الحج.

※ وله أنْ يخلطَ التلبية بالتهليل.

※ فإذا دخل المسجد الحرام قدَّم رِجلَهُ اليمنى، وقال:

※ «اللَّهم صلِّ على محمدٍ وسلِّم، اللَّهُمَّ افتَحْ لي أبوابَ رحمتكَ».

※ «أعوذُ باللَّهِ العظيم وبوجهه الكريم، وسلطانِهِ القديمِ من الشيطانِ الرجيم».

※ فإذا رأى الكعبة رفع يديه إن شاء لثبوته عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

※ ويدعو بما تيسر له، أو يدعو بدعاء عمر رضي اللَّه عنه: «اللَّهم أنت السلام، ومنك السلامُ، فَحَيِّنا ربَّنا بالسَّلام».

※ وإذا استقبل الحجر الأسود، قال: بسم اللَّه، واللَّه أكبر.

※ ويقول بين الركنين اليمانيين:

«ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقِنا

عذابَ النار» .

* وليس للطواف ذكرٌ خاص ، فله أن يقرأ من القرآن والذكر ما شاء .

* وإذا انتهى من الشوط السابع غطى كَتِفَهُ الأيمنَ ، وانطلق إلى مقام إبراهيم عليه السلام ، وقرأ بصوت مسموع : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

* وجعل المقام بينه وبين الكعبة ، وصلى عنده ركعتين .

* يقرأ فيهما بعد الفاتحة : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، و﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ .

* وإذا أراد السعي ودنا من الصفا ، قرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨] .

ويقول : «أبدأ بما بدأ اللَّهُ به» .

* ثم يستقبل الكعبة ، ويقول : «اللَّه أكبر ، اللَّه أكبر ، اللَّه أكبر ، لا إله إلا اللَّه وحده ، لا شريك له ، له الملك ، وله

الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا اللَّه وحده، لا شريك له، أنجز وَعدَهُ، ونَصرَ عبدَهُ، وهَزَمَ الأحزابَ وحده»، يقول ذلك ثلاث مراتٍ، ويدعو بين ذلك بما شاء من الدعاء.

* ويدعو في السعي بقوله: «ربِّ اغفر وارحم، إنك أنت الأعز الأكرم» لثبوته عن جمع من السلف.

فإذا أتى المروة قال مثل ما قال على الصفا.

* وإذا انطلق إلى عرفاتٍ يوم التاسعِ أكثر من التلبية، وقرنها بالتكبير.

* ويقف في عرفاتٍ مستقبلَ القبلة رافعًا يديه يدعو ويلبي.

* وأفضلُ ما يُقال يوم عرفة: «لا إله إلا اللَّه وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمدُ، وهو على كل شيء قدير».

* ويزيد في تلبيته أحيانًا إن شاء: إنما الخيرُ خيرُ الآخرةِ.

* وإذا بات في المزدَلِفة، وصلى الفجرَ، يستقبل القبلة فيحمدُ اللَّهَ، ويكبره، ويهلله، ويوحده، ويدعوه، ولا يزال كذلك إلى قرب الشروق.

* وعند رمي الجمرات يكبر مع كل حصاة.

* وتنقطع التلبية مع آخر حصاة يرمي بها الجمرة الكبرىٰ يوم النحر.

ويُكثر من ذكر اللَّه عز وجل في أيام التشريق، خصوصًا الاستغفار والتكبير ودعاء: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [البقرة: ٢٠١].

* وإذا رمىٰ الجمرة الأولىٰ، تقدم قليلاً عن يمينه، وقام مستقبلاً القبلة، قيامًا طويلاً قدر سورة البقرة، ويدعو ويرفع يديه.

ويفعل ذلك أيضًا بعد رمي الجمرة الثانية إلا أنه يأخذ ذات الشمال.

وليس عند رمي جمرة العقبة (الكبرىٰ) قيام ولا وقوفٌ غير أنه يجعل البيتَ عن يساره، ومنًىٰ عن يمينه، ويرمي.

ما يقول عند الذبح أو النحر

* ويقول عند الذبح أو النحر: «بسم اللَّه، واللَّه أكبر، اللَّهمَّ إن هذا مِنكَ ولك، اللَّهمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي».

ما يقول عند ذبح الأضحية

* بسم اللَّه، اللَّهمَّ تَقَبَّل منِّي ومِنْ أمة محمدٍ ﷺ.

ما يقول في زيارة المسجد النبوي

عند دخول المسجد: يقول ما تقدَّم فيما يقول عند دخول المسجد، ثم يصلي ركعتين تحية المسجد.

* ثم يستقبل قبر النبي ﷺ، ويقول: السلام عليك يا رسول اللَّهِ.

ثم قبر أبي بكر رضي اللَّه عنه ويقول: السلام عليك يا أبا بكر.

ثم قبر عمر رضي اللَّه عنه ويقول: السلام عليك يا عمر.

فإذا أراد أن يدعو تحوَّل عن القبر، واستقبلَ القبلةَ.

* وعند الخروج من المسجد: يقول ما تقدَّم فيما يقول عند الخروج من المسجد.

* * *